الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرادية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

طرابلس الغرب من خلال رحلة الورثلاني

1125ه-1713م/1193ه-1779م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالبتين:

- خنان كريمة
- أولاد هدار فضيلة

تحت إشراف:

د. جلول بوقراف

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ: ../../2022

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
أة. قريزة ربيعة	جامعة غرداية	رئيسا
أ.جلول بوقراف	جامعة غرداية	مشرفا و مقررا
د.تريعة موسى	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1442-1443 هـ / 2021 – 2022 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرادية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

طرابلس الغرب من خلال رحلة الورثلاني

1125ه-1713م/1193ه-1779م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث

من إعداد الطالبتين:

- خنان كريمة
- أولاد هدار فضيلة

تحت إشراف:

د. جلول بوقراف

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ: ../../2022

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الإسم واللقب	الجامعة	الصفة
أة. قريزة ربيعة	جامعة غرداية	رئيسا
أ. جلول بوقراف	جامعة غرداية	مشرفا و مقررا
د. تريعة موسى	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1442-1443 هـ / 2021 – 2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞

سورة النساء الآية 100

إهداء

أهدي هذا العمل لوالدي الكريمين حفظهما الله و أطال في عمرهما

إلى إخواني و أخواتي و لكل العائلة الكريمة

إلى صديقاتي

إلى كل من ساندني في إنجاز هذا العمل

راجية ان يلقى القبول و التقدير

خنـــان كريمة

إهداء

إلى والديا الكريمين جنة الدنيا و نعيمها، أطال الله في عمرهما وأمدهما

بالصحة والعافية

إلى رفيق دربي و شريك حياتي زوجي العزيز

إلى إخواني وأخواتي الذين تقاسمت معهم ذكريات طفولتي

وشبابي

إلى كل الأصدقاء والأحبة والزملاء سند حياتي

إلى كل من علمني حرفاً

إليهم جميعا أهدي هذا العمل رجيا من الله أن يلقى القبول والنجاح

أولاد هدار فضيلة

شكر و عرفان

نحمد الله الذي وفقنا في إتمام هذا البحث العلمي، و الذي ألهمنا الصحة و العافية و العزيمة ، حمدا كثيرا طيبا مباركا

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور "بوقراف جلول" على ما قدمه لنا من مجهودات و توجيهات في سبيل إنجاح هذا العمل، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم في تحصيلنا العلمي طوال فترة الدراسة الجامعية، كما نشكر كل من ساهم في إثراء هذه الورقة البحثية من قريب او بعيد

و في الأخير ندعو الله راجين السداد و الرشاد و أن ينفع بتحصيلنا و يلهمنا الهداية.

ملخص

ملخص:

يهدف هذا البحث المتواضع إبراز القيمة العلمية للرحلة بشكل عام و الرحلة الورثلانية إلى طرابلس الغرب بشكل خاص في العهد العثماني، مع الإشارة إلى مدى أهمية تدوينها في التاريخ الإسلامي الحديث، و قد شغلت هذه الرحلة دورا هاما و حيزا واسعا في علم التاريخ، و ذلك لشموليتها وإلمامها بشتى أنواع المعارف المراد دراستها من خلال هذه الرحلة.

وكانت جزءا من الرحلة الحجازية التي يهدف صاحبها إلى تحصيل العلم الديني ، ومنه اكتشاف مواطن الإنسان و تسجيل مشاهده، و تدوين خافيته حولها، و لقد خصصنا دراستنا في طرابلس الغرب و محاولة الإلمام بشتى جوانبها الاجتماعية، الفكرية و الثقافية وصولا إلى الاقتصادية والسياسية في القرن الثامن عشر بنظرة أهم الرحالة الجزائريين الحسين الورثلاني.

summary

This modest research aims to highlight the scientific value of the trip in general and the orthodox trip to Tripoli in the West in particular during the Ottoman era, with reference to the importance of its codification in modern Islamic history, and this trip occupied an important role and a wide space in the science of history, due to its comprehensiveness And her knowledge of the various types of knowledge to be studied during this trip.

And it was part of the Hejaz journey whose owner aims to acquire religious knowledge, including the discovery of human habitats, recording his scenes, and writing down his secrets around them. The eighteenth century, in the view of the most important Algerian traveler, Al-Hussein Al-Wartalani.

قائمة المختصرات:

ج: جزء

ص: صفحة

ط: طبعة

ع: عدد

هـ: هجري

م: ميلادي

ن.م.س: نفس المرجع السابق

P : page

مقدمة

إن لتدوين الرحلة أهمية بالغة في تحصيل العلوم و المعرفة، و كذا في مجال الدراسات الثقافية و الدينية، و الجوانب الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و تبرز مدى أهميتها العميقة في الدراسات التاريخية، لأنها تعتبر من أهم و أصدق المصادر، و ذلك بسبب نقل الرحالة للوقائع و الأحداث و الحقائق بكل شفافية و صدق معتمدين على المشاهدة العيانية و الملاحظة و التدوين، و كذا لأن هؤلاء الرحالة من أهل العلم منهم القضاة ورجال الدين و المؤرخين و الباحثين و طلبة العلم فهم يجتهدون لنقل الحقيقة بكامل أوجهها و منه فإن كتب الرحالة مصادر و مؤهلات أساسية للمعرفة و ثروة حقيقية للباحثين و الطلبة.

إن من أبرز الرحالات الجزائرية " الرحلة الورثالانية " لصاحبها الحسين الورثالاني و الذي قام بتدوينها بما يعرف ب"نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار" و عنينا بدراستنا هذه تسليط الضوء على رحلة هذا الرحالة إلى طرابلس الغرب إبان العهد العثماني.

.1

لاطار المكاني: طرابلس الغرب

2.**الاطار الزماني**: القرن ال 18 م/12هـ

3.**الإشكالية**: من خلال بحثنا نطرح الاشكالية التالية:

فيما تتجلى الأوضاع العامة في طرابلس الغرب من خلال رحلة الورثلاني؟

و من خلال هذه الإشكالية نطرح التساؤلات التالية:

أ. ما مفهوم الرحلة و ما دلالتها ؟

ب. ماهي أنواع الرحلة؟

ج. فيما تتجلى أهمية الرحلة؟

د. من هو الرحالة حسين الورثلاني؟

هـ. ما مضمون الرحلة؟

4. **المنهج المتبع:** من أجل الاجابة على الإشكالية العامة و تحقيق اهداف البحث، ثم الاعتماد على المنهج التاريخي الوصفي و المنهج السردي و كذلك منهج التحليل.
5. **خطة العمل:** و للإجابة عن هذه الإشكالية قسمنا عملنا هذا الى ثلاث فصول كالاتي: جاء الفصل الأول بعنوان الفصل الأول رحلة مصطلح و دلالات، المبحث الأول تطرقنا فيه إلى مفاهيم حول الرحلة، ثم أنواع الرحلات و تقسيمها و دوافعها في المبحث الثاني، و أخيرا أظهرنا مدى أهميتها في المبحث الثالث.

فيما يخص الفصل الثاني أشدنا برحلة الورثلاني بشكل عام، قمنا التعريف عن الرحالة ، و أجبنا عن الاستفهام المطروح حول مفهوم الرحلة الورثلانية، و ما مضمون هذه الرحلة.

في الفصل الأخير قمنا بدراسة طرابلس الغرب من خلال رحلة الورثلاني، الجانب الجغرافي، الاجتماعي، الثقافي السياسي .

6. **دوافع اختيار الموضوع:** مما دفعنا إلى اختيار الموضوع محاولة تسليط الضوء على هذه الرحلة الغنية المعارف و كذلك ميولنا الشخصي و إعجابنا بطرابلس الغرب و منه أيضا اللبس و الغموض عن أوضاعها في العهد العثماني أي خلال القرن الثامن عشر.
7. **الدارسات السابقة:**

1. العياشي سامية و بشراير مريم: الحجاز من خلال مؤلفات الرحالة الجزائريين خلال القرن 17 و 18م.
2. د.لزروق جيجيك: الرحلات و إنتشارها في التصوف في الجزائر العثمانية، رحلة الورثلاني نموذجا.
3. عبد الوهاب بن بتيش: الحج من خلال كتب الرحالة الجزائريين خلال العهد العثماني 1500-1830م رحلة الورثلاني نموذجا.

8. الصعوبات و العراقيل:

لا تخلوا أي دراسة من الصعوبات و العراقيل و ما تعرضنا له من خلال هذه الدراسة صعوبة الحصول على المادة العلمية نظرا لنقص المصادر و تسقيف عدد صفحات الدراسة.

قمنا بالتغلب على هذه الصعوبات بإعطاء البحث العلمي وقتا طويلا و مع ذلك لم نتمكن من جمع ما نحتاجه من مراجع.

و في الاخير نرجو ان نكون قد قدمنا ولو القليل في سبيل فك التساؤلات حول قضية طرابلس الغرب من خلال رحلة الورثلاني.

الفصل الأول:

رحلة مصطلح و دلالات

المبحث الاول: مفاهيم حول الرحلة

المبحث الثاني: أنواع الرحلات و تقسيمها

المبحث الثالث: أهمية الرحلة

إشباعا لغريزة حب الاستطلاع سعى الإنسان إلى الترحال بغية اكتشاف ما يحيط به من أسرار وجودية و قصد التعرف و التحكم في الوسط الذي يعيش فيه، فروح الفضول دفعته منذ القدم إلى تخطي حدود مكانه الجغرافي الذي نشأ فيه و ألفه فأخذ يرتحل و يجوب أنحاء الأرض لغايات مختلفة كالبحث عن رغد العيش و متطلبات الحياة وسد النقائص و إثراء الرصيد المعرفي ومنه التفتح على حضارات و ثقافات أخرى و تحصيل الكنوز الدينية و الدنيوية و استكشاف أماكنها ومن ثم التعرف على هويات و أعراف مختلف الشعوب و بنيات قيمها الأخلاقية.

منذ نشأة البشرية على سطح المعمورة وضع النبي ادم عليه السلام أول لبنة في معالم الرحلة مسجلا بذلك الأولى و السابقة في الحياة الآدمية فمضى مستطلعا و باحثا في الأرجاء ليملأ صبابة شغفه بمختلف شعب المعرفة.

إن للرحلة دورا أساسيا و فعالا في التطور الحضاري و الفكري للأمم كافة، إذ ساهمت في إثراء معارف و خبرات الحضارات الإنسانية منذ الأزل و على امتداد العصور، فإحساس الإنسان بالاستقرار و الانتماء لم يمنعاه عن الضرب في الأرض مرتحلا مستكشفا أسرارها و خباياها، فأصبح للرحلة دافعا مختلفا عن التجارة و تبادل المنافع و السعي للرغد من العيش فأصبح التعرف على الآفاق الممتدة و البعيدة سببا آخر للترحال.

تختلف أنماط الرحلات باختلاف دواعيها و أسبابها، إذ يسعى المرتحل إلى عرض كافة الجوانب لغرض رحلته، كتصوير الطابع العمراني الجانب الثقافي و الاجتماعي و نقل شتى أوجه النمط المعيشي و محاولة كسب ما يمكن اكتسابه من علم ديني و دنيوي و ثقافة و أساطير مؤرخا لشتى أركان الهوية لهته الأوطان فيعد الاختلاف و التنوع فيما بينها مادة دسمة يسعى لاقتناصها الباحثون و المؤرخون وطلبة العلم و السفراء و غيرهم من عامة الناس و تباعا لذلك فإننا نستعرض من خلال هذا الفصل كل ما يخص الرحلة الاستكشافية محاولين، الإجابة على الإشكاليتين الآتيتين:

- ما مفهوم الرحلة و ما دلالاتها و ماهي الأنواع المختلفة للرحلة، و فيما تتجلى أقسام كل نوع؟

المبحث الأول: مفاهيم حول الرحلة

عرفت الرحلة باعتبارها فعلا إنسانيا تطورا و توسعا من العصر لجاهلي إلى المعاصر، و هي بكل اتجاهاتها و ميادينها المختلفة سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة الجغرافية و التاريخية و الاجتماعية و الاقتصادية، و تكمن قيمتها في تفسير الظاهرات و دراستها، لتضعها في أيدي الجغرافي أو المؤرخ أو عالم الاجتماع، هذا إلى جانب قيمتها الأدبية، حيث تعرض جل مضامينها بأسلوب يرقى إلى مستوى الخيال الفني[1]، و تتجلى مفاهيم الرحلة فيما يلي:

أولا: التعريف اللغوي

جاءت الرحلة في اللغة بعدة معاني منها : السير و الضرب في الأرض : الترحيل و الارتحال بمعنى الأشخاص و الإزعاج يقال :رحل الرجل إذا سار ،و رجل رحول ،و قوم رحل أي يرتحلون كثيرا.[2]

كما جاءت الرحلة أيضا: بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان الرحلة :الارتحال كما تطلق أيضا على السفرة الواحدة[3]، و الرحل في معجم المحيط هو مركب للبعير ،و الرحالة : السرج أو من جلود الخشب و شاه رحلاء سوداء و ظهرها أبيض أو عكسه ،رحيل قوي على السير ارتحل بمعنى سار و مضى القوم عن المكان، انتقلوا.[4]

رحل عن البلد برحل رحلا ورحيلا وترحالا شخص وسار، اي رحل إلى مكان وانتقل.[5]

و لهذه المعاني كلها لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لأخر، و منه أخذ لفظ رحال: و هو الشخص المتنقل فمشتقات مادة " رحل" كثيرة و متعددة، و تدل كلها على الحركة لأن الحركة

---

(1)- سديرة سهام، **أدب الرحلة الماهية و الشكل**، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة، ص24.

(2)- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، المجلد6، د ط، د ت، ص124.

(3)- أحمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير**، دار الكتب العلمية ،بيروت،1398هـ،ج1،ص246.

(4)- محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،**القاموس المحيط** ،دار الجبل ،بيروت، ج2، ص394.

(5)- بطرس البستاني: **محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية**، مكتبة لبنان،(د،ط)، بيروت،1987، ص327.

في الحقيقة ما هي إلا حركة و انتقال تبعث في الإنسان النشاط و الحيوية و تعود عليه بمنافع عدة في مختلف مجالات حياته .[1]

الرحلات هي جمع كلمة " رحلة"، وقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن الرحلة تعني الترحيل والرحال، يقال رحل الرجل إذا سار، وأرحلته أنا. ورحل رحول وقوم رحل: أي يرتحلون كثيراً ورجل رحال: عالم بذلك مجيد له.

وورد لفظ رحلة عند ابن منظور بمعنى الانتقال من مكان لأخر" والترحل والارتحال: الانتقال، وهو الرحلة، والرحلة اسم للارتحال للمسير" والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، كما تعني السفرة الواحدة "الرحلة السفرة الواحدة ".[2]

ثانيا: التعريف الاصطلاحي

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، وهي بالجملة تعني الانتقال من مكان لآخر لتحقيق هدف معين، سواء كان ماديا أم معنويا.[3]

تعني بالرحلة انجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعينه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة أو إسقاط الفاصل بين المكان الذي تبدأ منه، و المكان الذي تنتهي إليه، وقد تكون الرحلة هواية تستهوي الإنسان و تشبع حاجاته وقد تكون الرحلة إنجازا صعبا و شاقا على الطريق، بين المكان و المكان الآخر.[4]

---

[1]- ناصر عبد الرزاق الموافي ،**الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع** ،مكتبة الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،ط1 ، 1995، ص 2.

[2]- أبو الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، المجلد 03، دار المعارف القاهرة(د.ت)، ج ،18ص1609.

[3]- مجلة روافد البحوث و الدراسات، **الرحلات الحجازية و العلمية الجزائرية خلال العهد العثماني و حدود إسهامها في تدوين تاريخ الجزائر الحديث**، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ و الحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، العدد الرابع، جوان 2018، ص61.

[4]- صلاح الّدين الشامي، **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة**، منشأة المعارف، الإسكندرية،ط2، 1999م، ص11.

لأن الرحلة لا تكون من دون غرض معين. وإنما يكون لها دائما دافعا، سواء كان ذلك الدافع ذاتيا يرتبط بالرحالة فقط. أو يكون دافعا عاما متعلقا بشؤون الأمة كلها، في حين يعرفها صلاح الدين الشامي بقوله : إن الرحلة تظل إنجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه، أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه.[1]

و عرفها الإمام الغزالي: أنها نوع مخالطة مع زيادة تعب و مشقة ، جاعلا بذلك الرحلة عبارة عن احتكاك بالآخرين، مع جهد و تعب ناتجين عن الانتقال.[2]

وقد أكد العلامة ابن خلدون (ت808هـ/ 1406م) ذلك في مقدمته الشهيرة في الفصل الثالث و الثلاثون "أن الرحلة في طلب العلم و لقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم"، حيث قال: "والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم و أخلاقهم وما به من المذاهب و الفضائل، تارة علماً و تعليماً و إلقاء، و تارة محاكاة و تلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة و التلقين أشدً استحكاما و أقوى رسوخاّ ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب المعارف و الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال"[3].

من خلال تعريفنا للرحلة لغة و اصطلاحا يظهر أن المفهومين لا يتباعدان كثيرا فكلاهما يشتركان في معنى واحد و هو الحركة و هذه الحركة يحقق منها الإنسان فوائد كثيرة و بعبارة أخرى الرحلة تعني الانتقال من مكان لآخر قصد تحقيق هدف معينا سواء أكان ماديا أو معنويا ما أما الحركة بقطع المسافات فهي السفر و جمعه أسفار[4].

---

[1]- صلاح الدين علي الشامي، **مرجع سابق**،110.

[2]- أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي ،**إحياء علوم الدين** ،ج2 ، دار الكتب العلمية ،بيروت ط 1، 1986،ص27.

[3]-عبد الرحمان ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، الجزء الأول من كتاب العبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، (د،ت)، ص 541-.542

[4]- عبد الحكيم اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ،ط 1.1994م. ص5.

ثالثا: الرحلة في القرآن و السنة

أولى الإسلام للرحلة و السير في الأرض أهمية بالغة لما فيه من فوائد للبشر، إذ يجعل الإنسان متسلحا بالنظر الدقيق الثاقب و الرؤية الموضوعية لكافه الأمور و منه حل المشكلات و استخلاص العبر و الدروس، و ما يحمله أيضا من منافع و علوم دينية و دنيوية.

فقد وردت في القرآن الكريم أمثلة عديدة على الرغم من ورود لفظ الرحلة مرة واحدة فيه في سورة قريش فقال تعالى:

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿1﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿2﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿3﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿4﴾ [1]

وهذه السورة تتحدث عن الرحلة التجارية لقريش نحو اليمن و الشام و التي انعكست إيجابيا على الأوضاع الاقتصادية لمكة، كما أخبرنا القرآن الكريم عن الكثير من الأنبياء الذين اعتنوا بالرحلة و حدثنا عن أغراضهم و دوافعهم الجليلة في أسفارهم و النتائج و الخيرة التي شمل نفعها البشرية، ومن الأنبياء الذين ورد ذكر أسفارهم في القرآن الكريم "إبراهيـــم و إسماعيل و لوط و إسحاق و يعقوب و موسى و هارون و داوود و سليمان وعيسى و محمد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين.[2]

إذا ورد لفظ " رحلة " في القرآن الكريم مرة واحدة –كما سبق وأشرت – إلا أن المفردات الدالة على الحركة والانتقال كثيرة ومتعددة نذكر منها : الظعن، الهجرة، السفر، الإسراء، الحج، السير، ولقد حاولت سميرة انساعد في دراستها:" الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري" إحصاء عدد المواضع التي وردت فيها كل لفظة. فمثلا تقول في لفظتي الظعن والإسراء : لفظة الظعن وردت مرة واحدة في قوله تعالى في سورة النحل.... أما لفظتي أسرى وإسراء فوردت في موضعين من سورة الأنفال وموضع واحد في سورة الإسراء[3].

---

[1]– سورة القريش، الآية 1–4

[2]– سميرة أنساعد، **مرجع سابق** ،ص15.

[3]– سميرة انساعد، **مرجع سابق**، ص17.

وتنوعت المفردات الدالة على نشاط الترحال ومنها: الظعن و الإسراء و السفر و الحج و الهجرة و السير، و أقبل المسلمون على الرحلة خاصة لأداء فريضة الحج و تقاطر الناس على مكة من كل فج عميق استجابة لدعوة خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام.[1]

و الحج أحد أسس الإسلام الخمسة لمن استطاع إليه سبيلا، وقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس و كانوا ينفقون في سبيلها كل مرتخص و غال.[2]

ووردت لفظة الحج ومشتقاتها خمسا وعشرين مرة و منها ما جاء في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿**و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا**﴾[3]، وحفز الإسلام على الرحلة من خلال التخفيف في العبادات أثناء السفر كالصلاة و الصوم لتفادي حدوث الضرر و المشق، حيث أجاز القرآن للمسافر التقصير في الصلاة و الجمع بين الصلاتين تقديما و تأخيرا.[4]

وقد وردت أحاديث كثيرة عن فضل الرحلة و السفر، لأن هذا النشاط ارتبط بدوافع نفعية كثيرة تعود على المرء الممارس له، كما أن الرسول صلى الله عليه و سلم كانت حياته كلها ترحال فقد مارس التجارة ثم انتقل بين ربوع جزيرة العرب لتبليغ رسالة الوحي ثم إلى الجهاد في سبيل الله و نصرة دينه، و كذلك حج رسول الله عليه الصلاة و السلام فكان دائم الترحال و حث أصحابه على التحلي بالأخلاق و الصفات الحميدة و التي تكون عنوانا للإسلام و رمزا للمسلمين.[5]

فمن أجل البحث عن الرزق و المال و المعرفة و لاكتشاف الخبرة في هذه الحياة و التأمل في خلق الله و بغية تسخير خيراته خدمة للبشرية حث سبحانه و تعالى المؤمنين على السير في أرجاء هذه المعمورة و ركوب البحر و الهجرة.

---

(1)- سميرة أنساعد، **المرجع السابق** ،ص 17.

(2)- عواطف محمد يوسف نواب :**الرحلات المغربية و الأندلسية**، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، السعودية،1996،ص17.

(3)- سورة آل عمران ، الآية 97.

(4)- حسين محمد فهيم :**أدب الرحلات**، عالم المعرفة، الكويت1989، ص84.

(5)- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيد، **مرجع سابق**،ص54.

رابعـا: دوافع الرحلة

الرحلة سلوك إنساني عرفه منذ أن دأب على الأرض متحديا كل الصعوبات، ومتجاوزا كل الوقائع، وهناك نماذج عدة شاهدة على ذلك.

وإذا حاولنا الاطلاع على دوافع الرحلة نجدها كثيرة ومتنوعة، فلكل رحالة دافع حفزه للقيام برحلته، والذي يختلف عن دافع رحالة آخر. ويمكننا أن نحدد دوافع الرحلة في النقاط التالية:

أ–الضرورة:

تعد الضرورة واحدة من الدوافع الحتمية التي تدفع الرحالة إلى القيام بهذا النشاط خاصة إذا تعرض لعارض يدفعه لهجر وطنه فيغادر، بحثا عن الكلأ والماء، وهربا من مصيبة كظلم حاكم أو أمير، أو يأسا من المجتمع، وما قد حل به من حروب ونزعات محلية، وظروف اجتماعية قاسية، وويلات ونكبات.[1]

ب – الدوافع الدينية:

من الدوافع التي تحفز إلى الرحلة، أداء مناسك الحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي لا شك فرصة لاحتكاك العلماء المسلمين بغيرهم الوافدين من كل العواصم العربية والإسلامية. ويغتنم الفرصة أصحاب الرحلات لتدوين ملاحظاتهم وانطباعاتهم في مؤلفاتهم، التي أصبحت تعرف بالرحلات الحجازية.[2]

إذ يعد الحج ينبوعا فجر مواهب الرحالين وحرك أقلامهم لوصف وسرد الكثير من القصص والأخبار التي سمعوها في طريقهم، ووصف المشاهدات التي رأوها في سبيلهم، ودون بعض الحجاج.[3]

ومن هؤلاء الرحالة الواسعي الثقافة مشاهداتهم بعد عودتهم، لينتفع بتجاربهم سائر المسلمين، ولتساعدهم على أداء مناسكهم و نذكر على سبيل المثال لا حصر: ابن جبير، ابن بطوطة، العبد

---

[1]– نوال عبد الرحمن الشوابكة، **أدب الرحلة الأندلسية والمغربية**، حتى نهاية القرن التاسع الهجري،دار المأمون للنشر والتوزيع،ط،1عمان،2008م،ص.21

[2]– عبد الر حمان ابن خلدون: **مصدر سابق**، ص 541-542.

[3]– ابراهيم أحمد العدوي، **ابن بطوطة في العالم الإسلامي**، دار المعارف، د ط، مصر ،1954،ص8.

ري،..... فابن بطوطة مثلا يذكر في رحلته السبب الذي دفع به إلى الخروج من وطنه إلى المشرق قائلا: كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام.[1]

ومن ثم زخرت كتبهم بأحوال سكان البلاد، وطبيعة مزاجهم، وأسس اقتصادياتهم، وينابيع ثروتهم ورخائهم.

ج- الدوافع التجارية و الإقتصادية:

التجارة أمر يقتضي القيام بالرحلة و السفر و كان التجار يضربون في أراضي جديدة عن طريق القوافل و عن طريق البحر من أجل تبادل السلع و فتح أسواق جديدة لمنتجات محلية و لجلب سلع و قد يكون هربا من الغلاء و سعيا وراء انخفاض الأسعار و اليسر و الوفرة أو العمل.[2]

استمرت الرحلات التجارية التي اشتهر بها العرب، و ازدهرت تلك الأخيرة نتيجة لاتساع الدولة و سهولة التنقل، و ساعدهم على الرحلات التجارية وحدة الثقافة و الّدين في أقطار العالم الإسلامي.[3]

فالتجارة كانت من أهم الدوافع التي دفعت الرحالة إلى تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، ولعل أول ما ارتبطت به الرحلات، علم تقويم البلدان والمسالك والممالك، لوصف الطرق، والمناخ، والعديد من الأمور الأخرى وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة للقيام

---

(1)- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة : **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج 1، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، د ط، الجزائر، ،1989،ص7.

(2)- فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط ، 2القاهرة ،، 2002ص 176-177.

(3)-محمد محمود محمدين ،**الجغرافيا و الجغرافيون بين الزمان و المكان** ،دار الخريجي للنشر ،الرياض ،ط2 ، 1996، ص 178.

بفريضة الحج، وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان والبقاع. وكانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضرورات الحاج والمسافر، إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة.[1]

وبذلك كانت التجارة من العوامل التي تشجع على الرحلات وتنشطها، كما أن ازدهار الحضارة الإسلامية، وسيادة المسلمين في البر والبحر، وطبيعة الدين الإسلامي، كل ذلك من شأنه أن يشجع على الأسفار والرحلات.[2]

د- الدوافع العلمية أو التعليمية:

فقد كان أهم بواعث هذه الرحلات هو طلب العلم و الاستزادة منه ،فالعلم يعتبر عاملا أساسيا لابد منه نتيجة أهميته في تطوير ثقافات الأفراد كما جاء في قول النبي صلى االله عليه وسلم : "طلب العلم فريضة على كل مسلم و مسلمة".[3]

كانت الرحلة إحدى السبل التي لجأ إليها الرحالة بغية طلب العلم وملاقاة العلماء والفقهاء ومحاورتهم والاستفادة منهم. بل إن هناك من العلوم الإسلامية ما يرتبط بالرحلة ارتباطا عضويا لا انفصام له، مثل الجغرافيا ولذلك نجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة.[4]

وكل هذا راجع إلى إدراكهم دور العلم في التقدم والتحرر من عبودية الجهل، بل وفي قلبه أمل في نيل الأجر والثواب من رب العزة، كيف لا وسيد الخلق محمد صلى االله عليه وسلم يقول: " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل االله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت االله يتلون كتاب االله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم االله فيمن عنده.[5]

---

(1)- نوال عبد الرحمن الشوابكة، **مرجع سابق**، ص47.

(2)- زكي محمد حسين، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي**، د ط، بيروت، ،1981ص6.

(3)- فؤاد قنديل، **مرجع سابق**، 2002ص 176-177.

(4)- حسين نصار، **أدب الرحلة**، دار نوبار للطباعة ، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1 ،القاهرة، ،1991ص3.

(5)- محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج1 ،ص17-18.

الرحلة مصدر ثري تستسقى منه مختلف العلوم باعتبارها شريطا تسجيليا و وثائقيا و حقيقيا لمختلف المظاهر العلمية، و فرصة لتسجيل الملاحظات و استسقاء المعرفة، فهي فرصة حقيقية و مادة دسمة للمؤرخين و العلماء و الرحالة و كذا طالبي العلم لذا فالهدف من هذه الرحلة التعلم و الدراسة فسميت بالرحلة العلمية.

هـ- الدوافع السياسية:

و التي تعمل على تشكيل علاقات سياسية مع دول أخرى من أجل تبادل مختلف المصالح و كذا توطيدها للعمل على التبادل التجاري و تشكيل النفود و السفارات بين ملوك و حكام بلد و بلد آخر، و منه تحقيق توازن الأوضاع السياسية و الاهتمام بمناقشة شؤون الحرب و السلام تمهيدا لبدء حرب ما أو فتح.

وتسمى كذلك رحلة السفارة. وهي رحلة رسمية يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم لقضاء حاجة قد تتعلق بشأن البلاد، كما قد تخص الحاكم نفسه. بل إن هذا النوع من الرحلات قد يكون بهدف التجسس والاستطلاع كرحلة سلام الترجمان عام 841/227 والتي كانت بتكليف من الخليفة الواثق بالله، قصد معرفة حقيقة سد الصين الكبير الذي يقال إن الاسكندر بناه بين العالم القديم وديار يأجوج ومأجوج.[1]

فالرحلة الإدارية فرضتها ظروف البلاد. إذ اقتضت ضرورة الحكم والإدارة، وتقدير الثروات وحجم الضرائب أن يكلف الحكام بعض الأشخاص بالقيام برحلات تفقدية لجمع البيانات والحقائق، وتقديم التقارير. وسواء أطلق على النشاط صفة (الجغرافية الإدارية)، أو(كتابة تواريخ الأقاليم)، فقد لعبت الرحلات دورا هاما في أدائه.[2]

---

[1]- ينظر: شوقي ضيف، **الرحلات**، دار المعارف، ط 4،القاهرة، د ت،ص9.

[2]- حسين محمد فهيم، **مرجع سابق**، ص9.

و– الدوافع السياحية:

وإلى جانب الدوافع الرئيسية للرحلة هناك دوافع أخرى تجعل الرحالة يغادر أهله ووطنه لينتقل إلى بلد آخر قصد الاطلاع على المجهول من جهة، وتحقيق المتعة والترفيه لنفسه من جهة أخرى. ليكون بذلك العامل سياحيا و هكذا جاءت بعض الرحلات لجوب الآفاق والسعي إلى ارتياد البعيد، وامتطاء أجنحة الرياح حبا في المغامرة والترويح عن النفس، وقد امتدت الرحلة لتتجاوز ركب الحجاج أو المهام الرسمية، أو طلب العلم، فينتهز الراحل الفرصة مدفوعا بروح المغامرة والاستكشاف، والشوق إلى المجهول، ليجول في البلاد ، يريد أن يرى كل شيء ويجرب كل شيء .[1]

و هي كثيرة و غالبة على غيرها من الدوافع خاصة في العصر الحديث ،كحب التنقل و تغيير الأجواء ،و التوق للمغامرة و المشاهدة و التأمل في جمال الطبيعة و غرائب الخلق ،و التعرف على المسالك و الأثار و الكهوف.[2]

ي– الدوافع الصحية:

طلبا للعلاج و الشفاء و بغية الحصول على الترويح عن النفس، وقد يكون الارتحال إلى المناطق النائية الهادئة كالريف مثلا سببا مباشرا للهروب من التلوث و الأوبئة.

و يمكن أن نلخص إلى أهم دوافع و أسباب قيام الرحلة على النحو التالي:

– إفادة القراء بمعلومات عن المعارف و العلوم و التعرف على الأعلام و مؤلفاتهم .

– التعريف بالبلدان ووصف الطرق و المسالك .

– ذكر أخبار الأمم والأقوام والجماعات البشرية ماضيا و حاضرا.

– التأريخ لأحداث متنوعة و تقديم معلومات موجزة أو مفصلة عن الأحوال السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية.

---

[1]– نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق،ص195.

[2]– فؤاد قنديل، **مرجع سابق، ص** 22.

– دعوة الرحالة إلى التعبير و التفريج في أحوالهم و الأهم رغبة الرحالة في نيل الثواب و المغفرة و الأجر العظيم من االله عّز و جل.[1]

ولقد اختلف الدارسون في تصنيف الرحلات فصلاح الدين الشامي يحصرها في ستة أنواع و هي : رحلة تجارة، رحلة الحرب، رحلة السفارة. وهذه الرحلات الثلاث ظهرت قبل الإسلام. أما الرحلات الثلاث الأخرى التي ظهرت بمجيء الإسلام وأضيفت إلى قائمة الرحلات فهي: رحلة الحج، رحلة طلب العلم ورحلة التجوال والطواف.[2]

أما محمد الفاسي فقد جعلها خمس عشر نوعا. ولكن، هناك تداخلا بينها كالرحلة الدراسية والرحلة العلمية، وكذلك بين الرحلة الرسمية والسفارية و....

وهذه الأنواع هي : الرحلة الحجازية، الرحلة السياحية، الرحلة الرسمية، الرحلة الدراسية، الرحلة الأثرية، الرحلة الاستكشافية، الرحلة الزيارية، الرحلة العلمية، الرحلة المقامية، الرحلة الدليلية، الرحلة الخيالية، الرحلة الفهرسية، الرحلة العامة و الرحلة السفارية.[3]

---

[1]- سميره أنساعد ،**مرجع سابق** ،ص038-39.

[2]- صلاح الدين علي الشامي، **مرجع سابق**، ص 114وما بعدها.

[3]- محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**، تح : محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي،المغرب.

المبحث الثاني: أنواع الرحلات و تقسيمها

أولا: الرحلة الحجازية

هي الرحلة المكتوبة التي استهدفت تسجيل مراحل السفر إلى الحجاز، والحديث عن معالم الحج و تأدية مناسكه، وقد عرف التراث المغربي كتابة الرحلة الحجازية مع العصر المريني.[1]

وهكذا كانت كل رحلة حجازية مكتوبة على اختلاف أزمنتها تقوم ضرورة على تمثل هذه الثوابت، ولو في أدنى مستوياتها و هي:

1- أنها تقوم على هدف أساسي، هو الذهاب إلى الحجاز، والرحلة إليه، بقصد تأدية مناسك الحج، والقيام بزيارة قبر الرسول صلى االله عليه وسلم، وبذلك أخذت تسميتها بالرحلة الحجازية أو الحجية، وتعيين صنفها المميز لها.

2- أنها تحمل أوصاف رحلة يمثلها الحديث على مجموعة من المراحل، يحدث بينها التنقل والسفر، وتتولد فيها ومعها، مختلف المصاعب والمشاكل التي تصادف الراحلين عادة، في البر أو في البحر وتنطلق من المغرب إلى الحجاز ذهابا، ومن الحجاز إلى المغرب إيابا، مهما اختلفت الطريق، وتنوعت وسائل السفر، ومهما تباينت المراحل التي تتمثل فيها مسالك هذه الرحلة ووحداتها.

3- أن الحديث عن المناسك وطريقة تأديتها، يكاد يكون متشابها بين مختلف نصوص الرحلات الحجازية، لأن الإحرام والوقوف بعرفات والطواف والسعي بين الصفا والمروة، هي الأركان التي قام عليها الحج منذ شرعه الله للناس.[2]

4- أنها تحاول أن تسجل ما ينتاب الحاج من شوق وحنين إلى الحج، وزيارة قبر الرسول صلى االله عليه وسلم، وما يحمله من تسرع في تحقيق رغبة الوصول، وتطلع إلى مواجهة معالم الحج، والزيارة المقدسة.[3]

---

[1]- الحسن الشاهدي، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**، ج 1،ص108.

[2]-مصطفى سالم عبد االله حبلوص، **أدب الرحلات عن العرب**، نشأته وتطوره، "ابن بطوطة أنموذجا"، ط ،1منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية الجماهيرية العربية الليبية، ،2009ص217.

[3]- مصطفى عبد االله حبلوص، **أدب الرحلات عند العرب**، ص218.

5- انها تقوم على الوصف وتسجيل ما يجري من أحداث الرحلة، وإن تفاوتت قدرات الوصف بين أصحابها و تباعدت قوة الملاحظة بين أصحابها، و التسجيل بين كتابها، و غالبا ما ينصرف هذا الوصف إلى إبراز بعض الأحداث الأساسية التي يقوم عمل الرحلة بها، و يتركز عليها باعتبارها تشكل مجموعة من الثوابت التي تتركب منها الأحداث، وتعطيها صفة التميز على أنها أحداث رحلة ووقائعها.[1]

6- أنها ترتكز على ما يمثل التواصل العلمي و الإجتماعي بين المجتمعات التي يتم الإتصال بها، و خاصة الأماكن التي تمتد بها إقامة الحجاج الراحلين فيكون فيها متسع من الوقت للتعرف على نشاط أهلها الإجتماعي و العلمي، و يكون لأهل هذه المناطق أيضا مجال أكثر لمعرفة من بركب الحاج المار بها، من الشخصيات التي تستحق التعرف عليها، و الاستفادة منها، إما في وضعها العلمي المتميز، أو في وضعها باعتبار ما تحمله من ملامح الولاية و الصلاح، فيتبرك بها و يغتنم دعاؤها.[2]

بالرغم من أن دعوة حج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام، و عرفت في وقت الجاهلية، إلا أن ما كان يرغبهم في ذلك الأسواق التي تقام فيه فلما جاء الإسلام ألزمهم به مرة في العمر للقادر على ذلك و أصبح الحج أحد قواعد الإسلام مقرونا بالاستطاعة و من أهم المحفزات و العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق إلى الرحلة و السفر كان الحج ولا يزال رحلة يتشوق إليها كل مسلم في مشارق الأرض و مغاربها، وقد اهتم الرحالة و المؤرخون بتدوين مذكراتهم عن الحج و نوهوا بالاهتمام الذي أولاه السلاطين و الحكام في سبيل خدمة الحجاج و تأمين المسالك و المنشآت في طرق الحج خدمة لهم و لحمايتهم.[3]

و زيادة على هذا، فإن فترة الحديث عن المناسك، وكيفية تأديتها، تصبح من الضروريات الجارية في كل الرحلات الحجازية، مما يجعلها عملا ثابتا تشترك فيه أعمال هذه الرحلات بما فيها الرحلات

---

[1]- حسين نصار: **مرجع سابق**، ص18.

[2]- عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ1996/م، ص36.

[3]- حسين محمد فهيم، **مرجع سابق**،ص80.

المختصرة أيضا، ومميزا به وبخصوصيته.

ويصاحب في الغالب هذا الوصف لممارسة المناسك في وجهها التطبيقي، حديثٌ قد يطول أو يقصر، يأخذ بالوجه النظري لمناسك الحج، ويستعرض التصور الفقهي حوله، وما تضمنته مواقف بعض المصنفات الفقهية تجاهه، وكيفية الحسم في تقرير بعض الاجتهادات في الموضوع، إما باستحضار نص الحديث قولاً أو فعلاً، وإما بالاعتماد على ما سبق من أقوال الأئمة واجتهادات الشيوخ.

ورغم ما يبدو من تفاوت في العرض الحديثي والفقهي بين هذه الرحلة أو تلك، مما يكون الأمر فيه مرتبطا بخصوصية الكاتب العلمية، ومدى تحصيله الفقهي والحديثي.[1]

لا يوجد في تاريخ الإنسانية موقع جغرافي حج إليه ملايين البشر في كلّ جيل مثل الجزيرة العربية، ولا يوجد موطن استقطب خمس الإنسانية في طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز، الوطن الروحي الأول لكل مؤمن، فادعاء الاغتراب في مهبط الوحي ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ في عقيدة كلّ مؤمن يستشف في مثوى الرسول رمز الرحمة والمثالية وإشعاع الروح و إيماض الوجدان، فلذلك لم تعرف ولن تعرف مواقع السياحة الدولية مسارا أكثر استرواحا و أشد استمراحا من هذه الأرض الطاهرة التي ظلت كعبة الرواد منذ انطلقت دعوة إبراهيم الخليل الأب الثاني للبشرية، تذكي الأفئدة والمشاعر خلال أربعة آلاف من السنين، وشاء القدر أن يهيأ لهذه البقعة المقدسة أن تكون منارا للإنسانية جمعاء.[2]

---

[1]- جميلة روباش، **أدب الرحلة في المغرب العربي**، كلية الآداب و اللغات، قسم الآداب و اللغة العربية، ص42.

[2]- المرجع السابق ص 46.

ثانيا: الرحلة العلمية

إذ كان طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت بالإنسان إلى السفر والارتحال، وهذا راجع إلى إدراكه دور العلم في التقدم والتحرر من العبودية والجهل فمن الرحلات العلمية ما كان الدافع إليه حضور الندوات والمؤتمرات والمهرجانات العلمية والأدبية والفنية المشاركة فيها ؛ فقد كان الإنسان يتغرب ويقطع المسافات من أجل زيارة المكتبات وحضور الملتقيات والاستئناس بالمجالس العلمية التيّ تعد زاداً معرفيا يستقي منه الرحالة عديد العلوم من مناهل مختلفة يزود القارئ بكم هائل من المعارف التي تضمن له بناء خلفية ثقافية دون التعرف لمشاق الرحلة ومتابعه.[1]

الضرب في الأرض بغية طلب العلم هو رحلة من أشهر الرحلات و أكثرها شيوعا، وقد سعى المسلمون الأوائل في الأرض طلبا للمعرفة، متتبعين لأثر العلماء و الشيوخ، ففي التاريخ الإسلامي قصص تروي شغف الصحابة و التابعين بالرحلة من أجل العلم فكانوا يطوون الأرض طيا و يقطعون المسافات الطوال و يشقون الدروب الوعرة لأجل الاستزادة بالعلم.

أصبحت الرحلة رمزا للعالم و المتعلم، وقد ضرب القرآن الكريم مثلا عظيما وواضحا لطلب العلم و بيان وجوبه، و أول من حقق هذا النوع من الرحلات نبي الله موسى عليه السلام، بالرغم من وصوله إلى مرتبة عالية عند الله تعالى و اختصاصه بكلامه رحل نبي الله موسى عليه السلام إصرارا على لقاء العبد الصالح، بغض النظر عن المشقة و المسافة، و سائلا إياه بكل أدب و تواضع أن يعلمه مما علمه

الله تعالى، قال تعالى: " قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا"، فكليم الله تعالى تنقل ورحل لتحصيل العلم و قد كان بمقدور الله تعالى إحضار العبد الصالح غلى موسى عليه السلام لتعليمه و لكنه سبحانه و تعالى أراد أن يبين أن العلم يحدث بالبحث و السفر لطلبه.[2]

---

[1]- حسين نصار، **مرجع سابق**، ص35.

[2]- نفسه، ص37.

و خلال عصر الاستقرار و النهضة و الازدهار و المعرفة و الحضارة في الدولة الإسلامية ازدهر و ارتفع شأن الرحلة حتى مشارف القرن 5 هـ (11م)، و في السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة و عديدة رويت عن الرسول صلى الله عليه و سلم في طلب العلم و قوله: " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ".

ومن بين هذه الرحلات العلمية التي سنعرضها في هذا المقام، رحلة عبد الرزاق بن حمادوش وابن الدين الأغواطي:

1.رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري:

هو عبد الرزاق بن محمد بن محمد المعروف بابن حمادوش الجزائري، ولد بمدينة الجزائر سنة (1107 هـ/1695م)، و توفي بعد حوالي 90 سنة، تلقى علومه الأولى بالجزائر أين تقلد بعض الوظائف الدينية، قام بعدة رحلات حيث أدى فريضة الحج وزار المغرب الأقصى كما زار المشرق الإسلامي في مناسبات متعددة، اختلفت ثقافة ابن حمادوش عن معاصريه فإضافة إلى العلوم الشرعية السائدة في زمنه، برع في العلوم العقلية من رياضيات وطب ونحوهما، وله العديد من المؤلفات منها: "كشف الرموز، وهو يدرس الطب الشعبي العربي، وقد ترجم منه " لوسيان لوكيرك "جزء إلى الفرنسية.[1].

إن الرحلات العلمية أقل شهرة من الرحلات الحجازية وأقل عددا أيضا، و رغم ذلك تبقى ذات أهمية كبيرة ومن بين هذه الرحلات، "رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي إلى الصحراء"، ويرجع تاريخ تأليفها إلى سنة 1242/1828م؛ أي قبيل الاحتلال الفرنسي للجزائر بحوالي سنتين ولذلك فهي تقدم لنا صورة هامة حول الجنوب الجزائري خلال تلك الفترة، بوجهة نظر محلية.

وصاحب الرحلة كما ذكرنا، هو الحاج ابن الدين الخطيب الأغواطي، المنسوب إلى مدينة الأغواط بالجنوب الجزائري، " وربما سمي بالحاج لأدائه لفريضة الحج، فقد ذكر في رحلته مدينة الدرعية وهي

---

[1]- مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1981ص10.

موجودة بالحجاز، وقد قال في نهاية مؤلفه أنه نقل ما رأى بنفسه، ومن هنا يكون احتمال حجه كبيرا. وممّا قيل فيه أنه كان "كثيرا المطالعة قليل التعلم"، ويظهر ذلك من خلال المعلومات الواردة في رحلته.[1]

ثالثا: الرحلة الاقتصادية

كانت التجارة من اهم الدوافع التي دفعت الرحالة الى تدوين رحلاتهم ليتمكن القارئ من معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، وكانت التجارة في موسم الحج ضرورة من ضروريات الحج و الأسفار، إذ لابد من الحصول على موارد مالية لتغطية نفقات الرحلة.[2]

و يظهر في هذا المجال التجارة خصوصا ،فبلاد العرب عرفت تبادلا تجاريا مع الهند و الصين فرحل العرب إليها ،و جاء إلى بلادها كثير من الرحالة ،و لما انتشر الإسلام ،و بسطت الخلافة الإسلامية سلطاتها على العالم فاتسع نطاق التجارة ،ليشمل إفريقيا ،و جنوب أوروبا ،وكانت أماكن خصبة لكثير من الرحالة.[3]

رابعا: الرحلة الرسمية

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية أثر في ظهور هذا النوع المتميز من الرحلة من قبل الحكام و الأمراء ،فضمت كل من الرحلات التكليفية و الإدارية و السفارية ،و هي خاصة بدوافع عديدة منها:

- تفقد أمر الرعية أو تلبية طلب الحكام في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة.
- تعد الرحلة حلقة رائعة و مثيرة من تلك المنظومة الإلهية لتحقيق المزيد من محاولات اكتشاف الذات الإنسانية.
- الرحلة في سر وحدة البشر فالله سبحانه و تعالى عندما أنزل أدم و حواء إلى الأرض لم ينزلهما منزلا

---

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، **لسان المقال**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، سحب الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، 2007م،ص151.

[2]- نوال عبد الرحمان الشوابكة، **مرجع سابق ،ص2**.

[3]- حسين نصار ،**أدب الرحلة**، مكتبة لبنان + الشركة المصرية العالمية للنشر مصر، ط 1991 ،1م ،ص21.

واحدا ليبحث كل منهما عن الآخر ،و يلتقيا في أخر المطاف ،و الشعوب لم تختلف في موضع واحد لكن الله فرقها و بث بينهم المسافات و غرس في نقوس الجميع قطرة السعي للتعارف و اللقاء.[1]

فالرحلة الرسمية هي رحلة المسؤولية و التكيف من ولي الأمر، و بموجبها يتلقى الرحالة التعليمات موضع التنفيذ و يخرج برا أو بحرا، و هذا امتثالا لمصلحة عامة أو مشروع لحساب تلك الدولة.[2]

وتتعدد دوافعها فمنها تلبية لطلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة و الإتيان بأخبارها كرحلة "سلام الترجمان" بأمر من الخليفة الواثق (227هـ-841م)، الذي يروى عنه أنه راى في منامه كأن السد الذي بناه ذو القرنين لعزل قوم ياجوج و ماجوج قد انهار، و طلب الخليفة من "سلام الترجمان" الخروج إلى حصون جبال القرقاز لمعاينته.

و يدخل في باب التكليف السفارات التي كانت لا تفتر بين الدول و من بينها ما ورد في السيرة فقد خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الملوك، قال ابن هشام: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه و كتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام.[3]

وكان الحكام يكلفون أشخاصا من ذوي الخبرة في الترحال للقيام برحلات تفقدية لجمع الحقائق و المعلومات و البيانات و هذا ما تقتضيه ضرورة الحكم و الإدارة، و كذا تقديم الحقائق على شكل تقارير لمعرفة مختلف الأوضاع الداخلية للبلدان و الشعوب الأخرى، و خاصة مع امتداد الرقعة الإسلامية الدولية بعد الفتوحات، إذ اتخذت الرحلات الرسمية كوسيلة للاستطلاع و التجسس تفاديا و تحسبا لأي هجومات من جيوش الدول الأخرى و كل هذا يندرج تحت التكليف بالرحلة.

---

[1]- فؤاد قنديل، مرجع سابق .24.

[2]- صلاح الدين علي الشامي، المرجع السابق،ص114.

[3]- ابن هشام، **صحيح السيرة النبوية**،إعداد: مجد يفتحي السيد، ط1،دار الصحابة،1995،ص458.

المبحث الثالث: أهمية الرحلة

أولا: أهمية الرحلة

تقول الدكتورة قدسية قريشي عن السفر: إن المسافر يجد فرصة لأن يشاهد العالم من حيث الاجتماع والمدنية والعلوم والفنون ويشاهد المناظر الطبيعية، كما أنه يقوم بتبادل الآراء مع الناس في الدول المختلفة مما يزيده علمًا ويسعفه على نشر عادات وتقاليد بلده في بلاد أخرى، ويكون السفر أساسًا لتبادل الآداب والثقافة بين الأقوام والبلاد.[1]

الإنسان منذ بدايته يحاول أن يكشف أسرار الأرض ويتعرف على رموزها، فيحب الحركة والتنقل ولا يجلس ولا يعيش على مكان واحد يبحث عن طعامه وشرابه ويحفظ نفسه عن معاناة الحياة ويحب أن يعيش حياة سعيدة والرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم. وهى بشكل عام سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور.

فالرحالة يطوى الأرض خلال رحلته ويسجل ملاحظته ومظاهر مختلفة في الحياة لما يشاهدها أو يسمعها ويصفها في رحلته، ولا شك أن الرحالين قد يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظتهم وفي درجة اهتمامهم حسب قدرتهم وذوقهم وثقافتهم الأدبية، كما يختلفون أيضا في درجة صدقهم وأمانتهم حسب فهمهم للأمور تحت الظروف المختلفة التي يخضعون لها.[2]

و الرحلات مصدر خصب للجغرافي والمؤرخ وعالم الاجتماع وفيها عبرة وعظة وفائدة للمقتدى ويترك الأثر الحسن على الراحل، ونشطت الرحلات بعد الفتوحات الإسلامية بدرجة كبيرة، وقبل ذلك الرحالة الأوائل لم يسجلوا أخبار رحلاتهم في مؤلفات إلا قليلاً ، وقد جاء ذكر هذه الرحلات في كتب التاريخ أو تقويم البلدان. والرحالة ينقل للقارئ صورا أو طرائق وقصصا ومشاهدات لكل ما رأى وما شاهد، والتراث العربي الإسلامي ملئ من أخبار الرحلات والرحالة وما دونوه عن مشاهداتهم ووصفهم من نماذج رفيعة من أدب الرحلات مما جعل السفر تراثا ليتصل بالجغرافية الوصفية والتاريخ الإسلامي، ولقد سجل الرحالة مشاعرهم بأسلوب جميل ومؤثر.

---

[1]- د.قدسية قريشى، اردو سفر نامه انسيوين مين، نصرت ببلشرز حيدرى ماركيت، آمين آباد لكهنو 1987م، ص21.

[2]- مجلة الإيضاح،أدب الرحلة : أهميته و أسلوبه و خصائصه و تطوره ،ص171.

فالرحالة يكتب كتابا متنقلا، تضم صفحاته صورا لبلاد مختلفة التي يمر بها ووصف الأماكن والمساجد والمكتبات والشخصيات التي يلتقى بها وجمع معلومات وغيرها".[1]

فأما القيمة العلمية :"فهي تكمن في احتواء معظم هذه الرحلات على كثير من المعارف والمدونات التي تمت إلى الجغرافية والتاريخ بأوثق الصلات ذلك أن الرحالة عندما يتجول في الأصقاع والبقاع فإنه يكتب ما يشاهده وما يعاينه مرة مستغربا ، ومرة معجبا لأن حياة البشرية وما يحيط بها من ظروف تختلف من منطقة إلى أخرى ثم يقدم صورا وتقاريرا وافية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والساسة والعمرانية للعرب ومن جاورها من شعوب آسا و إفريقيا و شطر من أمم أوروبا.[2]

أما القيمة الأدبية: فهي تتجلى في كون كثير مما أورده هؤلاء الرحالون في مذكراتهم يمكن أن يأخذ سبيله إلى عالم الأدب والخيال، ويمكن أن نعتبر ما دونه الرحالة مما شاهدوه نموذجا من أرقى النماذج وأروعها في الوصف الفني الحي المتميز الراقي لم نزل نفتقده في أدبنا وحتى الحديث منه، وهو الانصراف عن اللهو والعبث اللفظي ...والإيثار للتعبير السهل المستقيم الناضج بغنى التجربة ،وصدق اللهجة الشخصية مما لا نجده متواف ار عند البلغاء والأدباء المحترفين ونجده بقوة عند علماء وفقهاء الدين والمؤرخين وهؤلاء الكتاب الرحالين.[3]

إن فن الرحالات من ألصق الفنون بحياة الافراد والامم الرحالات تكشف مالا يكشفه التاريخ فالتاريخ عام يشمل على تصوير الحياة البلدان الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ونظم الحكم لشعب من الشعوب وهذا ما حققته الرحالات، غير انها اعطت كل ذلك بعده المناسب وتطرقت الى تحليل جوانب لم تتطرق الى تحليلها الوثائق التاريخية.

---

[1]- عبد الله بن حمد الحقيل، **صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين**، مكتبة التوبة المملكة العربية السعودية، ط:1، 2007 م، ص: 16، 17.

[2]- أحمد أبو سعد ، **أدب الرحلات** .دار الشرق الجديد، ط، 1بيروت، 1961ص 247.

[3]- المصدر نفسه ص5.

إن اهمية الرحالات تكمن في قيمتها العلمية والفنية، فالقيمة العلمية، تمثلت بتزويد اهل التاريخ والجغرافية والاثار والادب وغيرهم بمعلومات قيمة وصف الددن والطرق والعمران والبلدان واخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة .

- اما القيمة الفنية فتزود القراء بمعلومات وصور ممتعة واخبار تلذذ وتمتع.[1]

و تشير جل المصادر التاريخية إلى أن العرب شرعوا في كتابة رحلاتهم منذ القرن الثالث هجري (9م)، حيث أعطت هذه الكتابات مفهوما لامتداد العالم الإسلامي، و تنوع المجتمعات الاسلامية فيه، و انكب آخرون بشكل منظم على دراسة الأقطار و العلاقات بينهما و تسجيل الاختلافات و التباين في خصائصها الطبيعية و تتبع المسارات التي ربطت هذه الأقاليم ببعضها و عليه فقد كتب " المقدسي" تأليفة الجغرافية و الإنسانية بناء على تعليقاته الخاصة و من الشهود الثقات، و يعد المقدسي قطبا بارزا في التراث الجغرافي العربي في القرن 4 هـ (10م) و أكد هذا الرحالة أهمية تنقلاته في العالم الإسلامي، من أجل المعاينة و جمع المادة العلمية التي دونها في كتابه الشهير "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"[2]، فبهذا تظهر القيمة التاريخية للرحلة.

ثانيا: دواعي تدوين الرحلة

إذا كان الرحالة يزور بلدانا وأمما، فيتعرف من خلال رحلته هذه على مختلف مظاهر البلاد التي زارها الدينية و الاجتماعية و الثقافية. فما أهمية تدوينه لهذه الرحلة؟ وبعبارة أخرى، ما الذي يدفع الرحالة إلى سرد أحداث رحلته ونقلها إلى القارئ ؟ تجيب سميرة انساعد على هذه الأسئلة في النقاط التالية:

1. تلبية رغبة الآخرين من حكام، وأصدقاء أو أقرباء، بتدوين الرحلة، وإمتاعهم بالإطلاع على ما أثار إعجاب الرحالة ودهشته، فرحه وحزنه.
2. تقديم معلومات ثرية للقارئ عن المعارف والعلوم، والتعريف بالأعلام و بمؤلفاتهم.
3. التعريف بالبلدان والممالك التي زارها، وتحديد الطرق والمسالك، وتبيين مواقع الخطر والمشقة حتى

[1]- نوال عبد الرحمان الشوابكة: المرجع السابق، ص .30

[2]- حسين محمد فهيم، المرجع السابق ،ص 85.

يستفيد الآخرون منها.

4. سرد أخبار الأمم والأقوام ماضيها وحاضرها من عادات وتقاليد وطقوس...

5. التأريخ للأحداث المتنوعة، وتقديم معلومات سياسية واقتصادية.... عن البلدان المقصودة في الزيارة.

6. رغبة المشاركة في أدب الرحلات عن الرحالة وتدوين أخبار رحلته على منوال ما دونه السابقون من أمثال: المسعودي وابن بطوطة.

7. الدعوة إلى تغيير الجو و الاحتكاك بالآخر والانفتاح عليه.[1]

الأهم من ذلك الرغبة في إحداث التغيير في وطنه و الرقي بالفكر و العلم و إنقاذه إذا كان يعاني من الجمود الفكري وذلك عن طريق محاولة نقل مظاهر النهضة والتطور من ذلك البلد الذي زاره شرط ان تكون ملائمة وموافقة لمبادئ وطنه وتطبيقه.

ثالثا: موارد تدوين الرحلة

اعتمد الرحالة في تدوين رحلاتهم على المشافهة، و على بعض الرحلات السابقة كالرحلة الناصرية (للشيخ أحمد بن محمد بن ناصر)، كتاب "النّبذة المحتاجة في ذكر أخبار ملوك صنهاجة" لأبي عبد الله محمد بن علي بن حمادة بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، و كتاب السيوطي: "حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة" ، و كتاب أبي الشّماع الحفصي: " الأدلّة البيّنة النورانية في مفاخر الدّولة الحفصيّة"، كما اقتبس من كتاب" عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، لعبد الرّحمن الثعالبي، و مصادر أخرى في علوم مختلفة، كالتّوحيد و الفقه و التّصّوف، منها الوغليسّية لمحمد الوغليسي، صحيح البخاري، و كتاب المختصر في الفقه لابن إسحاق الجندي المالكي المعروف بمختصر خليل... و غيره من المصادر.[2]

---

[1]- سميرة انساعد، **مرجع سابق**، ص34-35-36.

[2]- الحسين بن محمد الورثيلاني، **نزهة الانظار في فضل عام التاريخ و الاخبار** مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ط 2 1117، ص191.

رابعا: أهم الرحلات الجزائرية

بعد نزول القرآن وانتشار الإسلام، كانت معظم الرحلات العربية عموما والجزائرية خصوصا غايتها وغرضها دينيا أكثر، فكانت أغلب الرحلات إلى الحجاز، للذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج أو العمرة والرحالة الجزائريون قليلون إذا قيسوا بالرحالة المغاربة وأقل من القليل أولئك الذين اتجهوا منهم نحو المغرب بدل المشرق. واذا كان القرن الثامن عشر الميلادي قد ترك لنا رحلتين جزائريتين نحو المشرق، رحلة ابن عمار ورحلة الورثيلاني، فإنه قد ترك لنا أيضا رحلة يتيمة نحو المغرب وهي رحلة ابن حمادوش .... وليس ابن حمادوش هو أول جزائري يتوجه إلى المغرب، فقد سبقه كثيرون كابن قنفذ و الونشريسي والمقري ولحقه كثيرون كالأمير عبد القادر والمشرفي، ولكنه أول جزائري حسب علمنا ترك لنا وصفا دقيقا لمدن تطوان ومكناس وفاس وأحوالهما الاجتماعية والاقتصادية والثقافية خلال القرن الثامن عشر.[1]

ومن الرحلات الحجازية في العهد العثماني رحلة الحسين الورثيلاني المعروفة بـ " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار " والتي نحن بصدد دراستها في هذا المذكرة.

[1]- أبو قاسم سعد الله، **تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب**، الجزائر،1983ص204.

من خلال هذا الفصل تمكننا من توضيح مفهوم الرحلة، و شاكلتها في العهد الإسلامي، و من ثم تصنيفها على أساس الدوافع التي جعلت الرحالة يقومون بها، فالرحلات الحجازية تقام التماسا للعلم الديني، و الرسمية لأجل التسويات السياسية، و الاقتصادية لأغراض التجارة، أما العلمية فكانت بغيه التحصيل المعرفي، و مررنا بذكر الأهمية البالغة للرحلات و مدى إسهامها في رقي الحضارات و النهوض بها، و منه تفتحها على آفاق مختلفة و جديدة.

و أولى المؤرخون الجزائريون كل الاهتمام للرحلة، إذ يعتبر الشيخ الورثلاني من أبرزهم، بعد قيامه برحلته المسماة به، و تعد من أهم الرحلات المغاربية في القرن الثامن عشر أي غبان الحكم العثماني في الجزائر.

الفصل الثاني:

حسين الورثلاني و رحلته

المبحث الاول: تعريف الرحالة حسين الورثلاني

المبحث الثاني: التعريف برحلة الورثلاني المشهورة

المبحث الثالث: المصادر المعرفية في الرحلة الورثلانية

إن تدوين الرحلة أو ما يدعى بأدب الرحلة موضوع شيق و ممتع و غنيمة ثرية للمغامرين والرحالة و استقطب اهتمام الكتاب و طلبة العلم فشكل محور العديد من كتب التاريخ و المعرفة الموسوعية، فوصف الرحالة مشاعرهم و انطباعاتهم و أحاسيسهم، فكتبوا عن ميولاتهم الفكرية اعتمادا على معارفهم الشخصية المتعددة، فصارت مدوناتهم دفاتر للمعارف، يجد فيها الباحث ضالته الدينية و السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية.

و من ثم فإن الرحلة كانت تشكل لوحدها وثيقة هامة، يحصل من خلالها الباحث على مختلف الإجابات الوافية لتساؤلاته العديدة التي كانت تراوده حينا من الدهر، لذلك أولت الجامعات اهتماما خاصا لدراسة الرحلات دراسات شاملة و موضوعية و تخصيص مقاييس تهتم بهذا الجانب لتزويد الطلبة بالفهم الكامل لهذه الرحلات بمختلف جوانبها و كذا دفعهم للبحث مما يستلزم الكثير من الجهد و المعاناة و الدراسة المتواصلة.

من أهم الرحالة محمد ابن حسين الورثلاني، نتطرق في هذا الفصل إلى التعريف بهذه الشخصية في المبحث الأول: فمن هو الشيخ حسين الورثلاني، و فيما تتمثل أهمية رحلته المشهورة و المعروفة بالرحلة الورثلانية؟ و ماهو تعريفها؟ و كذا ما هي مضامين هذه الأخيرة من علوم و معارف؟

المبحث الأول: تعريف الرحالة حسين الورثلاني

عرف القرن الثامن عشر هجري أهم رحلة حجازية اعتنت بالوصف الجغرافي و السرد التاريخي الخاصين بالبلاد العربية على وجه العموم و طرابلس الغرب على وجه الخصوص، وهذه الرحلة دونت على شكل ما يدعى بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار لصاحبها الحسين الورثلاني.

كما أنه من أهم الشخصيات العلمية في عصره الذي لا يستغنى عنه حسب كثير من المؤرخين في دراسة هذه المرحلة من تاريخ الحكم العثماني في طرابلس الغرب.

أولا: اسمه و نسبه

الحسين بن محمد السعيد بن محمد بن عبد القادر بن يحي بن أحمد الشريف، بن علي البكاي بن البجائي الحسني من شرفاء تافيلالت بالمغرب الأقصى " الورثلاني" نسبة إلى قبيلة قرب بجاية، و من ثمة نسبه الورثلاني و هو من أسرة عربية شريفة حيث جاء جده من ميلة إلى بني ورثلان، وهناك أسس نفوذ الأسرة الروحي بالمنطقة، وبعد وفاته أقيمت له قبة باعتباره من كبار المرابطين، و من هنا اجتمع في أصول الورثلاني الدين و الدنيا، فالدين عن طريق جده ووالده و اللذين كانا من أبرز المرابطين، و الدنيا من أخواله أولاد امقران الذين كانوا حكاما و رجال سيف.[1]

ينحدر الورثلاني من عائلة شريفة ذات علم كبير تشتهر بالتقوى والصلاح، تلقى تعليمه بمسقط رأسه بني ورثيلان على يد والده وشيوخ بلده في المدرسة القرآنية، التي كان يديرها والده، حفظ الورثيلاني القرآن الكريم وهو في سن مبكر، وبعد أن شب ذهب يبحث عن العلم في مختلف الزوايا، فتعلم الفقه والنحو ثم أضاف إلى ذلك علمي التصوف والتوحيد، ولا شك أنه نال حظا من اللغة والأدب والعروض والتاريخ.[2]

---

[1]- الحسين بن محمد السعيد الورثلاني: **مرجع سابق**، ص15.

[2]- أبو قاسم سعد الله، **مرجع سابق**،31.

ثانيـا: مولده و نشأته

ولد الحسن بن محمد السعيد في بني ورثيلان، ومن ثم نسبه الورثيلاني وهذا سنة 1125هـ وتوفي بنفس المكان سنة ،1193نشأ نشأة فقيرة أساسها التقشف الصوفي، دخل المدرسة القرآنية في سن مبكرة، حيث حفظ القرآن الكريم، كما نهل من الزوايا مختلف العلوم كالفقه والنحو والتصوف والتوحيد، كما نال حظا وافرا من الأدب والعروض وخصوصا التاريخ، الذي كان من أهم انشغالاته العلمية إلى جانب التصوف، كان يجمع بين علوم الظاهر والباطن، وكان يسير على مبادئ الطريقة الشادلية.[1]

والده محمد السعيد، الذي حفظ القرآن على يده، والشيخ محمد ابن يحي الفقيه المفتي، والشيخ أحمد ابن عمر التدليسي، والشيخ الحسن ابن أعراب، وكل هؤلاء أخذ عنهم الفقه والنحو و الأدب وهم الشيوخ الذين ابتدأ بهم مسيرته العلمية، كما تتلمذ على شيوخ آخرين في مناطق متفرقة من وطنه ومنهم: الشيخ الموهوب، والشيخ أحمد ابن عبد العظيم، والعلامة الفاضل علي ابن أحمد ذو الطريقة الناصرية الشاذلية وغيرهم من الشيوخ،[2]وهكذا أصبح الورثلاني كجده و أبيه من علماء المنطقة البارزين، ومن الذين يدين لهم الناس بالطاعة والاحترام.[3]

كانت حياة الورثيلاني كحياة الصوفيين حياة زهد وورع، وأصبح شيخ الطريقة الشاذلية، وكان يحب الاطلاع حيث اطلع على رحلات من سبقه مثل: "الرحلة الناصرية "للدرعي المغربي(ت1717م)، ورحلة "ماء الموائد" لأبي سليم العياشي (1681 م).[4]

---

[1]- ينظرأبو القاسم سعد الله: **مرجع سابق** ،ص39.

[2]- العياشي سامية، بشراير مريم: **الحجاز من خلال مؤلفات الرحالة الجزائرية خلال القرنين 17و18م**، مذكرة لنيل شهادة ماستر بتخصص تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: مياد رشيد، جامعة يحي فارس، المدية، 2018/2019م،ص21-22.

[3]- أبو قاسم سعد الله: **مرجع سابق** ،ص394.

[4]- ناصرا لدين سعيدوني: **ورقات جزائرية**، ط 1،دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص572.

ثالثا:ألقابه و مشايخه

يقول فيه الشيخ "محمد الحفناوي" سيدي الحسين الورثلاني هو الإمام العالم العامل العلامة الكامل الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد العابد الصالح، المتتبع لأثر الرسول الجامع بين المعقول و المنقول بحر الحقائق و كنز الدقائق مفيد الصالحين و مربي السالكين و قدوة العلماء العاملين و بقية السلف الصالحين محيي السنة و الطاعن في نحور مخالفيها بالأسنة نادرة الزمان و بركة المسلمين في كل عصر و أوان الجامع في النسبين و الجامع بين العلمين، كان رحمة الله مجاب الدعوة شديد السطوة لا تأخذه في الله لومة لائم ليله قائم و نهاره صائم، لم يزل متضرعا إلى الله في السر و النجوى يصدح بالحق و يقيم السنة صادق اللهجة واضح المحجة مستقيم الحجة قصد بيت الله مرارا ناشط الاعضاء في العبادة والأركان.[1]

أما فيما يخص الشيوخ الذين تعلم الورثلاني عنهم فقد نوه الاخير بهم و ذكر أسماءهم مع تراجم مطولة و موجزة فقد أخذ عن الكثير من الشيوخ في وطنه الجزائر و تونس و مصر و الحجاز، ولعل أبرزهم والده "محمد السعيد"، و الشيخ الصعيدي، و الحنفاوي و الجوهري و النفزاوي و محمود الكردي، و أحمد بن زروق و يحي البعلاوي و غيرهم من أكابر العلماء في ذلك الوقت وقد أجازوه ثم رجع من المشرق بعد أن امتلأ علما، وتفرغ للتعليم فأفاد و أجاد و دعا إلى الله العباد و قهر الجهلة أهل التعصب و العناد، و تخرج على يده العديد من الطلبة الذين لازموه أمثال محمد بن الفقيه و يحي بن حمزة و محمد ابن أخروف و أبو القاسم بن مدور و غيرهم و الذين تولوا مناصب مرموقة كالقضاء و الإفتاء.[2]

---

[1]- ابو القاسم سعد الله، **مرجع سابق** ، ص394.

[2]- عبد الوهاب بن بتيش،**الحج من خلال الرحالة الجزائريين في العهد العثماني (1500-1830)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر،إشراف:منى صالحي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة،2015-2016، ص34.

من الكلمات التي تتسم بأسمى الآداب والأخلاق التي استعملها الحسين الورتلاني مثل: سيدي، الولي الصالح ،شيخنا القطب الكامل... ،والتي أجاد فيها الورتلاني كل الإجادة عند ذكر مشايخه لدليل على مدى احترام الذي يكنه لهم رغم كثرتهم من داخل الوطن وخارجه، إذ ابتدأ معهم مسيرته العلمية.[1]

رابعا: مسيرته العلمية

تعتبر رحلة الورتلاني موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر للهجرة ، الثامن عشر للميلاد ،اشتملت رحلته على معلومات في غاية الأهمية تتصل بالحياة اليومية و الحالة المعاشية و أسلوب الحكم و مستوى الثقافة و طبيعة العادات و نوعية اهتمامات العامة في البلدان التي تعرف عليها في سفره أو أثناء إقامته بالحجاز[2] ،كان الورتلاني على علم برحلات السابقين مطلعا عليها ، فكان أكبر اعتماده على الرحلة الناصرية "لأحمد بن ناصر الدرعي" 1717 و"ماء الموائد" لأبي سالم العياشي1681.[3]

قد حج بيت الله الحرام ثلاث مرات أو أكثر:

الأولى: الحجة الأولى عام ثلاثة وخمسين ومئة ألف 1143 هـ، كانت مع والده و عمره حينها ثمانية عشر عاما.

الثانية: وكانت عام 1166 هـ وعمره آنذاك 41 سنة.

الثالثة: فاستغرقت الأعوام من 1179 هـ إلى 1181 هـ.

وكانت حافلة بالنشاط العلمي و اللقاءات المتكررة و المتواصلة بالشخصيات الفعالة.[4]

و قد خلف الورثلاني العديد من المؤلفات و المصنفات و نذكر منها:

1.شرح القدسية للأخصري في التصوف.

---

[1]- الورتلاني ، مرجع سابق، ص 17 18.. .145 146.

[2]- نيفي هلايلي، **الجزائريون و الرحلة إلى الحجاز على ضوء رحلتي الورتلاني و أبو رأس الناصري ، مجلة فكرية شاملة** تصدرها دوريا مؤسسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، م7، العدد 7،2008 م، ص22.

[3]- نفسه، ص23.

[4]- فاتيح نادية، **آليات الكتابة في الرحلة الورثيلانية مقاربة سيميائية**، رسالة ماجستير، نوقشت بجامعة ورقلة ،1902،ص 9.

2.حاشية على كتاب المرادي.

3.حاشية على الحاشية الصغرى.

4.شرح على وظيفة الشيخ يحي عبدلي.

5.درس في شرح "وقفت بساحل الأنبياء دونه".

6.قصيدة ميمية في نحو 500 بيت في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم.

وأشهر مؤلفاته: " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار"، و تعرف بالرحلة الورثلانية وهو وصف لرحلته إلى الديار المقدسة سنة (1179 هـ/1766م)و ما شهده من الأمكنة و الآثار ومن لقيهم من العلماء و غيرهم.[1]

خامسا: وفاته و آثاره

بعد أن رجع الشيخ الورثلاني من حجته الثالثة و الأخيرة و بعد حياة حافلة بالعطاء و المغامرة و الضرب في الارض، وبعد تقدمه في السن أعتكف الشيخ للعبادة و انقطع للتدريس و الوعظ و الارشاد في مسجد العائلة ببني ورشان، فاشتهر أمره و قصده الزوار و الطلبة من مختلف الجهات و الربوع.[2]

اختلف العلماء في تاريخ وفاته، والارجح أن يكون في شهر رمضان من عام 1193هـ أو 1194هـ الموافق(1780-1779م) كما ذكره بعض تلاميذته وسمعه ناسخ الرحلة عبد القادر بم محمد الصغير، وعلى هذا عاش الحسين الورثلاني من 83سنة الى 84سنة.[3]

و دفن بمسقط رأسه بقرية "آنو" و دفن بمقبرتها ولا يزال قبره قائما إلى الآن يزوره الناس باستمرار و يتبركون به و يتذكرون من خلاله ماضي البلاد المشرق.[4]

---

[1]- الورثلاني ،**مرجع سابق**، ص 159.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، **مرجع سابق**، ص100.

[3]- زروق جيجيك: **الرحلات وأثرها في انتشار التصوف في الجزائر العثمانية (13-10هـ)،(19-16م) رحلة الورثلاني أنموذجا**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف: محمد مكحلي، جامعة جيلالي ليابس ،بلعباس،2019-2020،ص222.

[4]- عبد الوهاب بن بتيش،مرجع سابق، ص33.

المبحث الثاني: التعريف برحلة الورثلاني المشهورة بالرحلة الورثلانية

أولا: التعريف بالرحلة الورثلانية

عرف الرحالة الجزائريون منذ القديم فن الرحلة كغيرهم من المشارقة، حيث أضحى الرحالة الجزائري يغدوا متطلعا إلى اكتشاف المجهول، راغبا في معرفة ما يحمله العالم من عادات و تقاليد و أخلاق، و هذا التفكير ولد أسئلة واستفسارات قادته إلى ولادة فن جديد من الفنون الأدبية في الجزائر و هو أدب الرحلة، مما احتلت هذه الأخيرة مرتبة رفيعة إذ أصبحت فن من الفنون الواردة من قبل أكبر و أعظم الرحالة الجزائريين من أبرزهم " أبي بكر بن العربي"، " إبن جبير"، "الورثلاني موظفين مجمل الوصف و السرد المنبعث إثر حركة التنقل و السفر و الارتحال، مولدين مغامرة إنسانية تنبعث عن الرحلة باختلاف أغراضها و أنواعها و غايتها إلى جانب أهميتها التي تشكل اكتشاف الذات الإنسانية مخترقة كل الحواجز بين الشعوب و الأقوام، فهي سر وحدة الناس و خاصة في زمن انعدمت فيه وسائل الاتصال.[1]

رحلة الورثيلاني من الرحلات الجزائرية القليلة في العصر الحديث، التي تجمع الكثير من الحقائق التاريخية، ليست فقط التي تتعلق بشخصية الورثيلاني ومسار حياته، وإنما تمثل سجلا حافلا بالأحداث التاريخية التي تخص البلدان والأقوام المختلفة وصفاتهم وعادات شعوبهم، رحلة قال عنها المؤرخ والأديب أبو القاسم سعد الله بأنها تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر ميلادي(18م) فهي من المراجع التي لا غنى عنها في هذا المجال، وكان تكرار حججه وإتقانه للعربية ومعرفته بعادات الشرق والغرب قد جعلت الورثيلاني حكمنا المنصف على العصر وأهله في كثير من المناسبات.[2]

---

[1]- إيمان براهمي، **دراسة وصفية لكتاب اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة لعمر بن قينة**، قسم اللغة و الأدب العربي، جامعة بلحاج شعيب، عين تموشنت، 2020-2021.

[2]- أبو القاسم سعد الله: **مرجع سابق**،ص398.

تعّد الّرحلة الورثيلانّية "نزهة الأنظار في فضل التاريخ والأخبار" الشهيرة بالّرحلة الورثلانية" للّرحالة الجزائري الحسين الورثلاني، موسوعة ضخمة تقع في 816 صفحة، أنشاها عندما ذهب إلى الحج عام 1179هـ، وهي رحلة حجازّية، فيها وصف لرحلته إلى الّديار المقّدسة وما شاهده من الأمكنة والآثار ومن لقيهم من العلماء والأعيان وغيرهم، وقد طبعت في مطبعة بيير فونتانة الّ شرقية في الجزائر عام 1908م، حقّقها الأستاذ محمد بن أبي شنب، و قد طبعت في جزءين، أبرز فيها أهمّية التّاريخ على خلاف معاصريه من في تلافيهم الحديث عنه، و رأى: "أن علم التاريخ يزيد في فضل الإنسان و يبعده عن القبائح، و يرى أيضا أن مرتبة العلماء تزيد و تنقص بعلم التاريخ، و هو طموح ‘لى نيل مرتبة عليا علما و ولاية.[1]

الورثيلاني على خلاف رحلة أبي راس الناصر الطريق البريّ، في حين اتبع الثاني كما ذكرنا الطريق البحري، وهذا مما ميز رحلة الورثيلاني، فقد زار العديد من المدن في المغرب الإسلامي قبل بلوغ الحجاز والتقى بمشايخها، حيث مر في رحلته بـ "مجانة وزمورة و بسكرة وسيدي عقبة و زلتين وأولاد سيدي ناجي و نفطة والحامة وتوزر وزواوة طرابلس و زليتن و مصرا مزلاتة وبلاد السرت وبرقة والإسكندرية والقاهرة و المدينة ومكة.[2]

وقد أراد في البداية كتابة رحلة عظيمة وفريدة تكون مفخرة لبلده، لكنه وقع في العديد من الهنات والمطبات، من خلال كثرة النقل والاستطراد وتداخل معلوماته، ولكن المؤرخين والعلماء لا يعلمون إن كان الورثيلاني قد ألف هذه الرحلة دفعة واحدة، أم على مرات عديدة فأبو القاسم سعد الله ينقل ما ذكره المؤلف،أنه قد ضاع منه دفتر في ليبيا أثناء عودته، ويشتمل قسم كبير من الرحلة على أخبار المتصوفة والصالحين، كما لا تخلو الرحلة من الحكايات الخرافية والغيبيات ، ففيها ذكر لكرامات الأولياء الصالحين والشيوخ، وذكر لأحداث تاريخية تخص فتح بلاد المغرب، خصوصا في الجزء الثالث منها، كما تقّدم العديد من سير العلماء والمشايخ، كما تحتوي على قصص الأنبياء، كما لا تخلو من ذكر لغزوات الخلفاء

---

[1]- مختار بن الطّاهر فيلالي، **رحلة الورثلاني، عرض و دارسة**، دار الّشهاب، باتنة، د.ت، د.ط، ص 39- 40.

[2]- ناصرا لدين سعيدوني: **مرجع سابق**، ص572.

الراشدين وتاريخهم وأيامهم، وتاريخ خلفاء الدولة العباسية، وغرائب البلدان وأعاجيبها، كما تحتوي على نصائح دينية للحجاج والأماكن التي زارها في مكة، وكبقية الرحلات الأخرى تحتوي الرحلة على مجموعة من النكت والطرائف، وهذا الجرد القصير لمختلف أجزاء الرحلة لا يمكنه الوقوف على كل جزئيات الرحلة، التي تعد بحق عمل فريد يضاف إلى إنجازات الرحالة الجزائريين وجهودهم الكبيرة في التأريخ لمراحل مهمة من تاريخ الجزائر والبلاد العربية بمختلف بقاعها وأصقاعها، وتعدد ثقافاتها وعلومها، وتمايز شعوبها وعاداتها وتقاليدها.[1]

جاء في مقدمة رحلته أن أهل بلده كانوا عازفين عن التاريخ مستصغرين له، كما ذكر أنها أنه عازم على تأليف "رحلة عظيمة يستعظمها البادي ويستحسنها الشادي، فإنهات زهو بمحاسنها عن كتب الأخبار". واستعان الورثيلاني لكتابتها على المشاهدة المباشرة وعلى النقل، فأما المشاهدة فكانت أسفاره المتكررة تثبت معلوماته، وأما التآليف التي استعان بها فمنها: "عنوان الدراية " للغبريني، و"النبذة المحتاجة في ذكر صنهاجة "و"الوغليسية "بشرح عبد الكريم الزواوي، ورحلة الدرعي ورحلة العياشي، حتى أنه ينقل أحيانا بالصفحة الكاملة عن هذه المؤلفات.[2]

أدى الورثيلاني فريضة الحج ، وزار الحجاز عدة مرات لتأدية مناسك الحج والعمرة، أولها كانت رفقة والده سنة 1143 هـ وكان ابن الثامنة عشر، والثانية سنة 1166هـ و كان عمره 41 سنة، في حين حجته الثالثة والأخيرة كانت سنة 1181 هـ.[3]

شملت الّرحلة الورثيلانّية علوما مختلفة، حتّى عّدت موسوعة علمّية، إذ ضّمت التّوحيد، الفقه، المعاملات، التّفسير، التّصّوف، البلاغة، الّنحو، التّاريخ و الجغرافيا، عادات و تقاليد المجتمعات، ما دفعه إلى إصدار أحكام منصفة، على العصر الّذي عاش فيه أهله، و يمكن عّدها وثيقة أّرخت لأحوال الجزائر و باقي الّدول العربّية في ظل الحكم التّركي الّذي وصفه بالظّالم و ما لاحظه في

---

[1]- د.رويدي عدلان، **بلاغة وصف الفضاء الجغرافي في رحلة الورثيلانية الموسومة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار**، جامعة جيجل، ص8.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **مرجع سابق**،ص397.

[3]- حنيفي هلايلي، **مرجع سابق**، ص 261.

الجزائر–خاّصة في مدينة بسكرة– و كذلك مصر.[1] من سياسّية ، اقتصادّية، اجتماعّية، و ثقافّية،...، خلال رحلتي الّذهاب و الإّياب للحج، و أتى على ذكر مختلف المدن و البلدان، الّتي ازرها، انطلاقا من بلدته بني ورثيلان، فمجانة، زمورة، قصر الطّير، أولاد موسى، وطن ريغة، أولاد دّارج، بريكة، بسكرة، سيدي عقبة، الخنقة، أولاد سيدي ناجي، نفطة، الحامة، توزر، زواوة، طرابلس، تاجوراء، لبدة، زلتين، مصارتة، بلادالسرت، إقليم برقة، الإسكندرّية، و المدينة، و مّكة، أّما طريق العودة، فهو ذاته طريق الذهاب، لكن معكوسا، إذ أصبحت نقطة النهاية(المدينة المنّورة) هي المنطلق، و قريته(بني ورثيلان) هي نقطة الوصول.[2]

ثانيا: أهمية الرحلة الورثلانية

تكمن أهمية رحلة الورثيلاني في ذكره للأحوال الاقتصادية والاجتماعية؛ ليس في الجزائر فحسب، بل يتعداه إلى تونس وطرابلس ومصر والحجاز في القرن 18 م إضافة إلى اهتمامه بالحياة الثقافية، فقد ترجم لمجموعة من شيوخه وأعلام بلده.

وتعتبر رحلة الورثيلاني مرآة صادقة للحياة الثقافية بالجزائر في القرن 12هـ /18م ، كما صورت أفكاره ومعتقداته الدينية، ومكانة المشايخ و"الأولياء، وشوقهم الكبير وحالتهم النفسية تجاه أداء فريضة الحج، وكذلك المنافسة العلمية بين العلماء، إذ كان يريد بعد أن اطلع على رحلات سابقيه أن تكون رحلته مفخرة لبلاده، وهذا ما يبين الروح الوطنية عند الورثيلاني.[3]

دعا الرحالة في رحلته هذه إلى الصلح والتسامح بين الناس، الابتعاد عن الفتن وشهادة الزور والظلم وعدم انتهاك حقوق الإنسان، ودعا أيضا إلى التقرب من الله والابتعاد عن المعاصي وكل ما يغضب الله ورسوله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ولاحظنا هذا في مواقف كثيرة كتب فانفصلنا من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من إصلاح ذات البين.[4]

---

[1]– ناصر الّدين سعيدوني، **مرجع سابق** ،ص418.

[2]– نفسه، ص419.

[3]– أأبو القاسم سعد الله: **المرجع نفسه**، ص..398

[4]– حسين الورثلاني، **مرجع سابق**، ص179.

ويوضح الرحالة هنا أن معظم رحلاته وسفراته كانت من أجل الإصلاح بين الناس ونشر التسامح بينهم، وكذا الدعوة إلى الله تعالى والنهي عن المحرمات كما هو الشأن بالنسبة للاختلاط بالنساء حيث ينهي الرحالة الرجال الذين يختلطون بالنساء الأجانب سواء كان من أجل العلم أو غير ذلك حتى لو كن صالحات قانتات فحرام الاختلاء بالنساء وقد استشهد في ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما».

وقال أيضا باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال وقال أيضا لو كان عرق الرجل في المشرق وعرق المرأة في المغرب أو العكس لتحاّنا[1].

يشتمل قسم كبير من الرحلة على أخبار المتصوفة والصالحين، كما لا تخلو الرحلة من الحكايات الخرافية والغيبيات، ففيها ذكر لكرامات الأولياء الصالحين والشيوخ، وذكر لأحداث تاريخية تخص فتح بلاد المغرب، خصوصا في الجزء الثالث منها، كما تقّدم العديد من سير العلماء و المشايخ، كما تحتوي على قصص الأنبياء، كما لا تخلو من ذكر لغزوات الخلفاء الراشدين وتاريخهم وأيامهم، وتاريخ خلفاء الدولة العباسية، وغرائب البلدان وأعاجيبها، كما تحتوي على نصائح دينية للحجاج والأماكن التي في مكة، وكبقية الرحلات الأخرى تحتوي الرحلة على مجموعة من النكت والطرائف، وهذا الجرد القصير لمختلف أجزاء الرحلة لا يمكنه الوقوف على كل جزئيات الرحلة، التي تعد بحق عمل فريد يضاف إلى إنجازات الرحالة الجزائرين وجهودهم الكبيرة في التأريخ لمراحل مهمة من تاريخ الجزائر والبلاد العربية بمختلف بقاعها وأصقاعها، وتعدد ثقافاتها وعلومها، وتمايز شعوبهاوعاداتها وتقاليدها.[2]

وتعد رحلة الورثيلاني الموسومة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار من الرحلات تحمل هذا الوصف، وهي من خلال العنوان تحاول التأريخ، ليس لحياة الشخصية فقط والأشواط التي قطعتها في حياتها، وإنما التأريخ لتلك المدن التي زارها الورثيلاني بكل ما تحمله من قيم ثقافية وحضارية، سواء داخل الوطن أو خارجه، فالرحلة على تنوع أسفاره وفضاءاتها المكانية،

---

[1]- الحسين الورثلاني، نفس المرجع السابق.

[2]- د. رويدي عدلان، **مرجع سابق**، ص 6.

رّسخت تاريخا ثقافيا، وآخر اجتماعيا منفتحا على تأليفات عديدة تتقاطع معها، وبفعل تراكمها الكمي والنوعي، صارت تشّكل نصا فريدا تجاوز إطاره الجغرافي ليصبح نصا كونيا بامتياز، يخترق مختلف الحدود والآفاق.[1]

ثالثا: المصادر المعرفية

تعّد رحلة الشيخ الحسين الورثلاني مثالا لعلّو الهّمة، و تحّدي الصعوبات، و المغامرة، فالرّحالة يتّصف بسعة الأفق ممّا جعله يحشد لمتن رحلته كل شاردة و واردة، عاشها أو صادفها أثناء رحلته، ذهابا و إّيابا فسجل كل ما يخص المناطق الجزائرية و الأصقاع العربّية آنذاك، ممّا طبع صورة مشّرفة عنها، لذلك لا يمكن أن يجحد فضل رحلته الّتي تعّد وعاء أدبّيا، استطاع أن يرصد كل انماط حياة النّاس في ذلك الزّمان، و خلّد بصمته الفكرّية و الثّقافّية في مرحلة عرفت بالرّكود في مختلف المجالات العلمّية، الفكرّية، و الأدبّية، من تاريخ الجزائر خاصة، و البلاد العربّية عامّة.[2]

بين الورثلاني في متن رحلته الأسباب العديدة الّتي دفعته لتدوينها، فسجل فيها كل شاردة وواردة صادفته، فقّيد الأحداث بتواريخها، و سّمى الشخصيات الّتي التقاها بأسمائها الحقيقّية، ووصف كل المناظر التي رآها، و الدروب التي يسلكها الحّ جاج في سفرهم، و صعوبات التّي تعترضهم ، و بّين ذلك كلّه بقوله: " فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم و الآثار، و الرباع و القفار و الديار، و المعاطن و المياه و البساتين و الأرياف، و القرى و المزارع و الأمصار، و العلماء و الفضلاء و النجباء و الأدباء من كل مكان من الفقهاء و المحدثين و المفسرين الأخيار و الشيوخ العارفين ... أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي و يستحسنها الشادي.[3]

إقتبس الورثلاني من مصادر عديدة سواء ما تعلق منها بالحجاز أو الجزائر أو المغرب و تونس و طرابلس الغرب و غيرهم من الأوطان التي مر عليها بركبه خلال قيامه برحلته المشهورة ، و قد حرص

(1)_ نفس المرجع، ص2.

(2)_ الحسين الورثلاني، **مرجع سابق**، ص 13.

(3)_ نفس المرجع ص 13.

على التدوين الدقيق و الوصف الحسن، كما أنها اقتبس من رحلات أولئك الذين سبقوه إلى تلك المناطق كصاحب الرحلة الناصرية و أبو سالم العياشي (مائدة الموائد) و غيرهم.

و يذكر الحسين الورثلاني – رحمه الله- من حين لآخر بين ثنايا رحلته المصادر الّتي اعتمدها لتدوينها مثل:

الرحلات السابقة:

دأب الرّحالة على نهج مسار بعضهم بعضا في تدوين رحلاتهم، مقتد منهم اللاحق بالسابق ، فما من بقعة زارها ، أو مكان نزل به إلا و أتى على ذكره من سبقه ، أمثال الرّحلة العياشّية: ماء الموائد(2222م-2223م) لأبي سالم العياشي، الرّحلة النّاصرّية لأحمد بن ناصر بن عمر الدّرعي(2119م-2121م)، ثّم رحلة الأغلاني(ت2219هـ-2121م) الّذي عاين الأحوال السّياسّية و الاجتماعّية، و الاقتصادّية لبلدان المشرق و المغرب الإسلاميين.

وقد اعتمد عليها الشيخ الورثلاني في وصف عديد الأماكن و الأقاليم، خاصة ليبيا (طرابلس و ما حولها)، كما أفاد من الرّحلة التّيجانّية، لأبي محمد علد الله بن محمد بن أحمد التيجاني(ت121هـ-2321م) و تعّد من أهّم الرّحلات التّونسّية، و الّتي اهتّم صاحبها بوصف البلاد الإفريقّية، استعان بها الورثلانيفي تحديد جغرافية المدن الليبّية خاصة ، مستكملا بمعلوماتها ما وجده في رحلة الّدرعي، و قد نهل من الرّحلة المغربّية، كرحلة العبدري، محمد بن محمد بن علي أنو عبد الله العبدري الحيحي(ت111هـ-2311م) الّازخرة بوصف الأماكن الأثرّية و وصف الطّبيعة، و استقى عناصر الثقافة العلمّية و الفكرّية لبلاد المغرب و الأندلس، من رحلة تاج المفرق في تحلية علماء المغرب و المشرق، لأبي البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلوي القنتوري(ت171هـ- 2319م)، و ثّمة رحلات اعتمد عليها في أحداث قليلة، لا تستدعي التفصيل، كرحلتي ابن بطوطة الطّنجي، وابن رشيد الّ سبتي، وغيرهما.

و هذا يدل على أن صاحب الرحلة قد خطط لها مسبقا و بدقّة عالية، و توالي أحداثها بشكل إنسيابي يدل على استشراف مسبق لتدوينها خاصة و أنه لا يهمل شاردة و لا واردة إّلا و أثبتها في الرّحلة كأسماء المناطق و غيرها و أعلامها و علمائها، و حسب عملية الاستقراء التي قمنا بها و

استنباطا من الرحلة، الأقرب إلى المنطق أنه أتّم تدوين نصه بعد فترة زمنّية من عودته من رحلته إلى بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج.[1]

كما يجدر بنا الذكر أنه اقتبس من الموارد الفقهية و التفاسير و موارد تاريخية و لغوية أيضا.

المبحث الثالث: مضمون الرحلة الورثلانية

أولا: العلوم النقلية

يبدو أن الورثيلاني ممن يعتبرون علم الكلام أمر مستحب كأداة عقلية مكملة للأدلة النقلية. وهذا ما نلحظه في جدله مع الشيخ العمروسي في مسألة مال فيها الشيخ الورثيلاني إلى رأي الشيخ خليل المغربي. و قد أورد في هذا السياق عشر مسائل من علم الكلام، وهي في غاية التعقيد بين فيها الورثيلاني رأيه بالميل إلى الموقف العقلاني ما لم يتعارض مع الشرع، و لا يزعجه ذلك حتى بالاستناد إلى حجة المعتزلة. و المقام لا يسمح بسرد تلك المسائل، إنما يمكن فقط التوقف عند المسألة الأولي إذ يرى أن من يقول "في قولهم أنبت الربيع البقل" استعارة بالكناية "أي شبه الربيع بالفاعل الحقيقي الذي هو الله تعالى في كونه منبتا فحذف المشبه به و هو الله و أثبت له شيئا من لوازم المشبه به و هو الانبات لأنه من فعل الله تعالى، فالحق أن يسند إليه ثم أن الربيع فاعل حقيقي ادعاء و مبالغة في التشبيه أي فرد من أفراد الفاعل الحقيقي..."[2] ثم يخلص إلى وصف رد الشيخ المذكور على هذا التوضيح "فتحير في الجواب بعد جهد جهيد في الوصول إلى الإشكال فضلا عن الجواب على أن الادعاء في الاستعارة كاف في انفكاكه."[3] ولعل هذا الجدل يذكرنا بالنقاش الذي دار بين الغزالي (أبو حامد) و ابن رشد في مسألة ما إذا القول بأن النار حارقة أمر حاصل أم افتراضي بحكم أن الاحتراق، كما ذهب إلى ذلك الغزالي، ليس من النار ولكن من إرادة خالق النار سبحانه.

---

[1]- بلحاج ربيحة، **النّص و البنى الثقافيّة في أدب الرّحلة عند الحسين الورثلاني** ، رسالة ماجيستير للحصول على شهادة الدوكتوراه، المركز الجامعي بولحاج بوشعيب، جامعة تلمسان، 2020/2019، ص 64.

[2]- **الورثلاني، مرجع سابق، ص 361**.

[3]- **نفسه، ص 362**.

أ.التاريخ:

اعتنى الورثلاني عناية بارزة بعلم التاريخ ، إذا انتقد عدم اهتمام أهل بلاده بالتاريخ وسخريتهم من دراسته وتدريسه، واعتبره من العلوم التي تزيد في فضل الانسان وتبعده عن القبائح.

ب.**الفقه:**

عرف عن الورثلاني أنو كان فقيها أيضا إذا عرف تأليفه لعدة كتب فيه وفي باقي علوم الشريعة كالتوحيد.

و تشمل القضايا الفقهية التي كانت محل جدل في تلك الفترة "الغناء" أو ما يسمى آنذاك "السماع بالدف". و قد سرد الورثيلاني مجمل الآراء الفقهية بما في ذلك ما ورد من أن بعض الأولياء كان يستمعون بالدف فقلدهم بعض الأتباع في ذلك. و يرى الورثيلاني أن السماع بالدف أو المزمار و غيره من الآلات من مواطن "الظن" التي ينبغي تجنبه في أوساط العامة لامتلاك ذلك صفة الملاهي إذ قد لا تزاد نفس العامة عند السماع إلا "قوة و جموحا،" و لا شهوته إلا "كلبا و طفوحا،" و الشيطان يكتفي منه بذلك ..."[1] و ينتقد الورثيلاني الطوائف التي تستخدم السماع بالدف خاصة بوصفه وسيلة للتوبة و العودة إلى الطريق المستقيم و يعتبر ذلك من "طفوح الجهل."

و يقول في ذلك: "و قد عمت البلوى و العياذ بالله بانكباب أبناء الطوائف على السماع بالدفوف و المزامير وسائر الآلات و الأشعار و الألحان و اتخذوا ذلك صراطا مستقيما. و اتبعوا فيه شيطانا رجيما، و نبذوا السنة وراء ظهورهم، وزالت هيئة الشريعة من صدورهم، وكان لهم ذلك ديدنا في سائر الأزمان، فصاروا مسخرة للشيطان." [2]

و يضيف " لعمري كيف تسلم ديانة من يتعاطى السماع بالأغاني و إنشاد الألحان و الأشعار إذ هو معشش الدسائس و أحق بالنزاع ومغرس التخليط و التلبيس و أدخل في الابتداع إلا من عصمه الله

---

[1]_ الورثلاني، **مرجع سابق** ص. 230-231

[2]- نفسه ، ص. 230.

وقليل ما هم، فلذلك كان إنكار السماع من كثير من العلماء و تحذيرهم منه لا سيما في حق العوام."[1]

و يقيد الورثيلاني السمع بالقصد فيقول "و بالجملة، فالبحث بالإباحة و التحريم و الندب إنما فيمن يلتبس عنا قصده و حاله... فقرائن الأحول تميز أحوال السامعين، فمن علم أنه قصد أمرا مذموما في الشرع منع باتفاق، ومن علم أن قصده صحيح لا علة فيه شرعا كالزهاد و العباد جاز قطعا من غير خلاف لكونه ترياقا مجربا أقل ما فيه من الدواء استراحة النفس مما حصل لها من التعب في حال المجاهدات و كذا أهل التمكين من الشيوخ فإن سماعهم من الحق و لا شك أنه مطلوب منهم لتتسع دائرة علومهم و تتقوى أنوار معارفهم، وهذا إذا سلم الوضع من الفتن الدينية... كخلو المكان ممن يفتتن به من النساء و الشبان ممن لا قصد له قصدا خبيثا فهو على التقسيم المتقدم بين الإباحة و الندب، وأما مع القصد الفاسد فلا يجوز اتفاقا." [2]

و يضيف "و أما الأشعار الوعظية المشتملة على التذكير بالله تعالى و الترغيب فيما عنده و التنفير عن الدنيا و التحضيض على التقوى فهي سليمة الجناب تصلح للعوام و العباد و الزهاد." [3]

و يبدو أنه من المواضيع التي شاغلت بال بعض الفقهاء أيضا مسألة شرب القهوة و اللعب بالشطرنج و الدخان (أي التدخين). ويري الورثيلاني في ذلك أن النظر إلى الشيء لا يتوقف عند ذاته ولكن بما يقارنه من الأفعال موجبة أو سالبة. فشرب القهوة بذاته مباح خاصة إذا اقترن بالإعانة على السهر في العبادة أو المطالعة الليلية، أما إذا اقترن شربها بإتباع الأهواء و "لهو حضور من لا يحل حضوره من الجواري" فهي في" حق هؤلاء محرمة لا لذاتها و لكن لما قارنها (في النص قارنا)."[4]

و ينطبق نفس الشيء على "شراب يتخذ من قشور البن" و لعبة الشطرنج إذ قد تتحول هذه الأخيرة إلى مصدر إلهاء عن العبادة من مثل صلاة الجماعة، أما الدخان (أي التدخين) فالصحيح

---

[1]- الورثلاني، مرجع سابق. ص230.

[2]- نفسه، ص236-237.

[3]- نفسه، ص235.

[4]- نفسه ،ص 320.

في نظره التحريم "لما اشتمل عليه من المفاسد و لا منفعة فيه أصلا." و يضيف "و أنفق أرباب القلوب شرقا و غربا على التنفير منه (أي التدخين) و كراهته، ولم يزل الأمراء مجتهدين في قطعه ومع ذلك فلا يزاد إلا شهرة."[1]

ت.التصوف:

عرف عن الحسن الورثلاني انه كان صوفيا كجده ووالده، فقد كان مدرسا وشيخ زاوية الاسرة بل كان من العلماء البارزين الذين يدين لذم الناس بالطاعة الروحية والأحكام.[2]

يرد الورثيلاني عددا من المكاشفات الصوفية التي كانت على ما يبدو سائدة في أوساط العامة و بعض رجالات الصوفية آنذاك، و عادة ما تأتي هذه الأخيرة في شكل أقول منسوبة إلى "الأولياء" و الصالحين. و يقارب الورثيلاني هذه الأخيرة بمحاجتها بالدليل النقلي أحيانا و العقلي أحيانا أخرى فيفندها أحيانا و يتركها بدون حكم أحيانا أخرى.

وما يذكره من هذه المكاشفات بدون تعليق ما مفاده، و إشارة إلى أحد الأولياء ببجاية الملقب بالشيخ سيدي أحمد بن عبد العظيم، أنه "قد سمعت ممن سمع سيدي إبراهيم الحاج البجائي أنه سمع الحيتان في البحر تقول سبحان الله أحمد بن عبد العظيم ولي الله."[3] و يتكرر شيء مشابه في الحديث مثلا عن الشيخ إبراهيم (من منطقة بجاية على ما يبدو) و يقول "وأني سمعت ممن يوثق بخبره أن السيد أبا القاسم الحاج صاحب فراية في بجاية أنه رأى السيد إبراهيم في السماء الرابعة يجذب الشمس مع الملائكة..."[4] و يذكر أيضا العديد من كرامات الشيخ الملقب بسيدي يحي من منطقة "ثمقرا" أنه "لما بنى مسجده المعلوم اختلفوا في القبلة، فلما اختلفوا فيها قال الشيخ يحي لجبل فوق قريته انخفض فانخفض فتبينت له الكعبة و رآها كل من كان هناك و هذا و الله أعلم."[5]

---

[1]- الورثلاني، **مرجع سابق** ص 322.

[2]- حنيفي هلالي: **المرجع السابق**، ص23.

[3]- نفسه، ص 23

[4]- نفسه، ص 23

[5]- نفسه، ص 20.

و لعل موقف الورثيلاني من مثل هذه المكاشفات يتضح أكثر في معرض مروره بأحد الأولياء سيدي محمد بن علي بمنطقة عقبة، إذ يروى (بضم الياء) عن هذا الأخير من بعض الحجاج ممن زاره "أنه قال لهم أن النبي (صلعم) قال له (أي في المنام) أن النار لا تمس كل من رآك و زعموا أنها قال ومن رأي من رآك..." [1] يقول الورثيلاني أن الله أعلم بحقيقة ذلك، لكنه يضيف أن هذا الكلام، إن صح، "يحتاج إلى تأويل و يبعد حمله على ظاهره وأن المراد مجرد الرؤية البصرية، فإن القواعد تأبى بقاءه على عمومه..."[2] و يضيف في سياق مشابه بعد ذلك "ولو صح حمل الكلام المتقدم على ظاهره و عمومه لكان أولى بذلك الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم."

و عامة، يري الورثيلاني العناية بكلام الأولياء، إلا ما يبدو أنه لا يستقيم فيتم اللجوء في هذه الحالة إلى التأويل القائم على الحجة و الشرع. يقول في ذلك "إلا أن كلام أولياء الله لا ينبغي أن يرمى به جزافا فليحرص المرء جهده على لقائهم و رؤيتهم و التبرك بهم فعسى أن يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا و أخرى...و مع ذلك فلا يركن إلى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون... فإن لكلامهم وجوه و احتمالات. "[3]

و يتلخص موقفه من مثل هذه المكاشفات قوله " وما أطنبت في هذا إلا أني رأيت كثيرا من الجهلة يغتر بأمثال هذا و يحمله على ظاهره وإلا فإنا و الحمد لله ممن يعتقد تنزيه ساحة الأئمة الصوفية عن الكذب و الافتراء ويثق بأقوالهم و يصدق كراماتهم و يحمل ما أشكل على أحسن محامله و لا أطعن فيه بوجه و أسلم لهم فيما لم يتبين لي وجهه و المنة في ذلك لله وحده." [4]

---

[1]- الورثلاني، **مرجع سابق**،ص 118-119

[2]-نفسه ،ص 119.

[3]- نفسه ،ص 119

[4]- نفسه ،ص 120.

ثانيا: الجغرافيا و الاقتصاد

اعتنت رحلة الحسين الورثلاني بالوصف الدقيق للأماكن التي زارها، وقد تضمن معلومات عن جغرافية لهذه المناطق بحيث وصف المدن والأمصار، وحدد مواقعها و المسافات التي تفصل بينها وذكر خصائصها ومناخها و مواردها الطبيعية.

لم يكن الورثلاني تاجرا ولا مهتما بأمور المال والاقتصاد لذلك نرى اهتمامه زائدا بهذه النواحي في وصف الظروف الاقتصادية التي كانت تسود في الجزائر وباقي الدول العربية التي زارها.[1]

1.بجاية :

و بالجملة ففضل بجاية مشهور وعلم أهلها مذكور قال الشريف التلمساني دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي يتبع من حيطانها... وقد سمعنا(2) أن بجاية فيها خمسمائة صبية يحفظن المدونة ، أما اللاتي يحفظن ابن الحاجب فلا يحصي عددهن إلا الله تعالى حاصله جعلنا الله في زمرتهم و أفاض علينا من بركتهم بمنه و كرمه آمين.[3]

2.أهل إلماين (القريبة من بني ورثيلان):

أنهم شرفاء، وإن كان فيهم أهل جرأة و تعد...فالله ينظر إلى قوم فيهم الصالح نظر رحمة.[4]

3.زمورة (شرق بني يعلى):

و زمورة كثيرة المياه و أرضها ذات زرع و ضرع بلا اشتباه، طعامها جيد و سوقها عامر مفيد، و فيها برج للنوبة من الترك، حفظها الله تعالى من أكابر المعاصي و الشرك، و فيها قائد و لأهلها سائد، بهم يظلم... و بسبب ذلك اضطرمت نار الفتنة... (ورغم)[5] أن زمورة علمها قليل و جهلها جليل، كثيرة اللهو و اللعب، نائية التواضع بالإكثار... إلا أن فيها من الأفاضل من قل أن يأتي به الزمان

---

(1)–الورثلاني، مرجع سابق ، ص 23.

(2)– ليس واضحا إذا كان ذلك كلام التلمساني أو كلام الورثيلاني

(3)– الرحلة، ص 43.

(4)– نفسه، ص 59

(5)– نفسه، ص 109 .

ويسمح به الأوان، فاضل على الإطلاق، و محب بالاشتياق، مشارك الفنون، أديب متمكن في المعالي، فحلا في العيون، ومقبول عند الوجوه، له حلاوة و طلاوة، بما لا يعنيه لا يفوه.[1]

3.بسكرة (الجزائر):

وهذه البلدة، أعني بسكرة، كثيرة المياه بين خلال البيوت، فكل باب عنده ساقية من الماء تجري من ماء حلو كالعسل ونخلها عظيم و غلتها كثيرة، أي زرعها، و كذا الفواكه خصوصا، والزيتون فإنه كثير جدا، وهذه المدنية كانت قاهرة عظيمة البنيان و الجامع الأعظم يدل على ذلك فإنه لا نظير له و صومعته ما أحسنها وما أوسعها، غير أن القديمة، أي المدينة (إشارة إلى المدينة القديمة) قد خربت و صارت دكا و سبب ذلك فتنة بينهم فأدخلوا الترك فأهلكوها حتى بقي القليل منها، حاصله أن الناس قد خرجوا إلى البساتين فبنوا هناك من ذلك العهد على الآن..."[2]

4.بلاد الجريد و توزر (تونس):

ما رأيت أرق قلوبا و أسخى دمعة من أهل الجريد.[3] وما رأيت ببلاد الجريد أكثر منها(أي توزر) نخلا وأحسن منها بناء وأوسع ... ساحة و أغزر ماء و بناؤهم بالأجر... و بها من الثمار ما لا يحصى عدده إلا الله يرد عليها الأعراب الالآف المتؤلفة ... و تمرها من أجود تمر الجريد و مياهها غزيرة و جناتها كثيرة ينساب فيها واد كبير... و لكن أضر بأهلها جور الولاة حتى كاد الخراب يستولي عليها لضعف أهلها بالجبايات الظلمية."[4]

---

[1]- الرحلة، ص109.

[2]- نفسه، ص 115.

[3]- نفسه، ص 158

[4]- نفسه، ص 156-157

5.قابس (تونس):

نزلنا بقابس فشفينا فيه غليل القلب من شوق اصهابة

وزرنا به ضريح إمام بر و بحر في السخاء أبي لبابة

هو البحر المعين لوارديه فرد ما شئت من بحر الصحابة

فايقنا بنيل القصد حقا و صدقنا بإسراع الإجابة

أنلنا يا إلهي كل خير و إحسان و زودنا الإنابة [1]

6.طرابلس، ليبيا:

فاعلم أن مدينة طرابلس خصها الله بالصالحين ومحبة أهل الخير حتى أنهم لا يصبرون عليهم، فإذا شموا رائحة المعرفة في أحد سعوا إليه بالإحسان جزاهم الله أحسن الجزاء و ذلك علم في عمالة طرابلس لا سيما الزاوية الغربية فإن فيها من الصالحين الموتى ما لا يستطيع أحد أن يعدهم، وأما الأحياء فبحسب زماننا هم أكثر من غيرهم، و قد قيل إنها تنبت الصالحين كما تنبت الأرض العشب..."[2]

7.مصر:

و بالجملة فأمر مصر و حالها من يوم عمارتها إلى الآن أمر غريب و عجائبها في العلوم و المعارف و العوارف و الولاية لا تحصى و غرائبها كادت أن لا تستقصى، فمن اختبرها و عاين بعض أحوالها حصل له اليقين الخاص و العبرة العظيمة. ومن عجائبها في كل شيء أنك إذا رأيت شيئا عظيما ثم رأيت شيئا أعظم منه نسيت الأول.[3]

(1)-الرحلة، ص 164

(2)- نفسه، ص 197

(3)- نفسه، ص 374-375

ثالثا: السياسة

أما فيما يخص نظرته لظروف السكان أثناء الحكم العثماني فيبدو الورثلاني غير راض، بل منتقدا لهذه الظروف خاصة من خلال ملاحظاته حول علاقة السكان برموز الحكم العثماني القياد والاغوات.[1]

يتميز نهج الورثيلاني بالنزعة العقلانية "الشديدة" على خلاف ما يمكن أن يتوقعه القارئ عن رحالة كتب في القرن الثامن عشر (ميلادي). فقد امتلك القدرة على استيعاب المدارس الفقهية و الفكرية السائدة في تلك الفترة بتسامح كبير إلى درجة أنه كان يدافع عن تلك الآراء المنطقية البحتة مثل مسائل علم الكلام و حتى الفلسفة و آراء المعتزلة، ما لم يجد في الشرع ما يدل على غير ذلك.

و نجده كثيرا ما ينتقد "العامة" الذين يأخذون الأشياء "على ظاهر القول"[2] بدون دليل في الشرع أو العقل وأحيانا، يعلق على المسألة الشائكة بالقول أن "كلامهم يحتاج إلى تدقيق."[3] و يروي الورثلاني مثلا أنه وجد في رحلته أن أهل قرية "الخنقة" (منطقة تونس ربما) "مشغولون بالنحو و الفقه و الحديث... و أما علم الكلام و المنطق فمنعدم في محلهم رأسا." و يعلق على ذلك بقوله "هذا من الحرمان البين و الخذلان المتمكن و القساوة الجلية..." فالأرجح عنده ألا بد من الدليل العقلي في معرفة الكثير من الحقائق، و في بعضها لا يكفي فيها دليل نقل."[4]

و لا يتوقف نهج الورثيلاني على المنطق و النقل ولكن يمتد إلى النهج الصوفي، على طريقة الغزالي (أبو حامد ربما) لاعتقاده أن هذا الصنف من العلماء و الأولياء رزقوا "من صدق الإلهام و نفوذ البصيرة مع تأييد الله لهم عند اشتباه الأمور، فيميلون مع الحق أين ما مال لرفضهم دواعي الهوى."[5]

---

[1]- حنيفي هلالي: المرجع السابق، ص 24

[2]- نفسه، ص 120.

[3]- نفسه، ص 119.

[4]- نفسه، ص 150-152.

[5]- نفسه، ص 321.

إن تدوين الرحلة الورثلانية إبان العهد العثماني أمر بالغ الأهمية ، ولا يمكن إلا أن يقال أنها ذات مدلول تاريخي كبير، نظرا لما تكتنفه من جزئيات هامة من ذكر لمسار الرحلة وبلدان والموقع الجغرافي من تضاريس ووصف للجوانب السياسية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمختلف محطات المغاربية والمشرقية.

ونستخلص مما سبق بأن الرحلة الورثلانية كانت من أهم الرحلات العلمية الحجازية التي تقوم بتصوير شتى الأوجه الاجتماعية و السياسية و الثقافية و غيرها.

إن تدوين الرحلات التي قامت بها الشخصية آنفة الذكر، تدل على اهتمام الجزائريين بعملية تقييد الرحلات وتدوينها من مشاهدات أو معلومات وأخبار كان قد تلقاها الرحالة، أو تعرضت له في رحلته، مما يؤكد وجود نسق اجتماعي وثقافي بين المثقفين والعامة.

الفصل الثالث:

طرابلس الغرب من خلال الرحلة الورثلانية

المبحث الاول: الجانب الجغرافي

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي

المبحث الثالث: الجانب الثقافي

المبحث الرابع: الجانب السياسي

المبحث الخامس: الجانب الاقتصادي

بعد بياننا لمدى أهمية الرحلة الورثلانية في الفصل السابق، بعد تعريفها و تسليط الضوء على مضمونها من علوم نقلية و اقتصاد و سياسة و جغرافيا، أردنا أن نختص بدراسة طرابلس الغرب من خلال هذه الرحلة.

شهدت طرابلس الغرب أحداثا و ظروفا خاصة و بالأخص على المستوى السياسي الاقتصادي و الثقافي، إذ تعرضت لتدخلات خارجية فيما يخص وضعها الداخلي، فقام الأوروبيون بالسيطرة على التجارة و الاقتصاد بشكل عام أواخر العهد العثماني، كما عانت من مؤامرات و غارات أجنبية من أوروبا، أما داخليا فكان كيانها قد اهترئ بسبب الفساد و التعفن الداخلي وعدم الشفافية و التخلف الفكري و تآمر الرعية ضد السلطة، وكذا حقد العلماء على بعضهم البعض، إلا ان ذلك لم يمنع الحركة العلمية و الثقافية للبلاد.

من خلال هذا الفصل سنتطرق إلى الجوانب الآتية في رحلة الورثيلاني إلى طرابلس الغرب، إذ سنجيب على الإشكاليات التالية:

فيما يتمثل كل من الجانب الجغرافي، الاجتماعي، الثقافي، السياسي و الإقتصادي؟

المبحث الأول: الجانب الجغرافي

شخصّية الّرحالة هي عمود الأساس في بناء هيكل الّرحلة و انشائها، و حوله تدور أحداث الّرحلة، و هو الّذات المهيمنة من بداية الّرحلة إلى نهايتها أثناء الذهاب و بالمثل حين العودة، لذلك وجب العناية بشخصّيته، خاصة و أن الرحلة من نمط خاص، فالقصد منها البحث عن المعرفة و الغوص في ثناياها و الإلمام بمختلف الزوايا لمجتمع طرابلس الغرب في العهد العثماني، فشخصّية الرحالة هنا تتمّيز بالصبر و التأقلم مع كل طارئ و صعب صادفها في رحلتها.

كانت البلاغة العربية تركّز على دراسة البنى التخييلية على حساب البنى الاقناعية، لكن مع تطور الدراسات البلاغية، وبالخصوص مع ظهور البلاغة الجديدة، أصبح الاهتمام بدراسة أساليب الحجاج وطرق الاقناع، والذي عّد مطلبا مهّما عندهم، من خلال التركيز على الجوانب السيكولوجية التي تعمل على إعداد المتلقي وتهيئته لقول الحقائق، وتدخل بلاغة وصف الفضاء المكاني ضمن بلاغة إقناع المتلقي وتحفيزه على خوض غمار القراءة، وفتح أفق عديدة للتأويل، الذي يسهم في إثراء النص الرحلي بمجموعة من الدلالات والمعاني السياسية والأيديولوجية، التي تعطينا صورة واضحة حول البيئات المختلفة، على اعتبار أن الرحلات تنقل لنا تاريخية المجتمعات والحضارات، عبر عملية السرد المتتابع أحيانا و المتقطع في أحايين أخرى.

وبهذه الطريقة يتّم نقل الحقائق المختلفة للمجتمعات الانثروبولوجية منها والثقافية، وهذا عبر الفضاء اللغوي الذي يحيل بدوره إلى فضاء جغرافي تاريخي، هذا الذي يدفعنا إلى الحفر في البنى اللغوية التي تجسد الفضاء الجغرافي والدلالي على حد سواء، وهذا يتّم عبر الوقوف على مجموعة من العناصر السردية، التي يعّد الوصف أحد أهّمها، لأّنه يقودنا بعد ذلك إلى الولوج إلى مختلف المعطيات التاريخية لفضاء الرحلة عموما، و يتضافر عنصر الوصف ببلاغته الإقناعية مع العناصر الأخرى للسرد ليشكلون مع بعضهم البعض جمالية وفنية، تثير عقل المتلقي وتستفزه، وتغريه بتتبع أحداث الرحلة من البداية إلى النهاية، خصوصا لّما يمتزج التاريخ بالمتخيل، فيشكلان معا وليمة أدبية تفتح شهية القراء، وتمنحهم فرصة الاستمتاع بالقراءة.[1]

[1]- د.رويدي عدلان، **مرجع سابق، ص6**.

في خضم هذا الهوس الإبداعي بالتدوين و الوصف ، ساهمت طرابلس الغرب بشكل كبير في هذا النوع من الإنجاز الأدبي الرفيع و المعروف بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار المتميز بالمغامرة والمجازفة والمعروف بأدب الرحلات ،وكانت بعض رحلات الجزائريين تلبية لنداء الحج وبعضها نتيجة لطلب العلم ، وبذلك أسهموا " مساهمة واضحة في كتابة رحلات رغم أن إنتاجهم كان قليلا بالقياس إلى كتاب الرحلات المغاربية آنذاك، و قد تم تدوين العديد من هذه الرحلات، و بهذا يكون الشيخ الحسين الورثلاني قد شق طريقه نحو طرابلس الغرب مبدعا في نقل أوضح الصور الجغرافية عنها، و ليس ذلك فحسب إنما برع في الإلمام بتصوير شتى أوجه الحياة فيها، مدونا كل صغيرة و كبيرة بتفاصيلها.

أولا: لمحة جغرافية عن طرابلس الغرب

يعد الفضاء الجغرافي، من الفضاءات التي نالت اهتماما كبيرا، من قبل الرحالين الجزائريين كيف لا وهي تمثل محطات مهمة في حياة هؤلاء الرحالة وأسفارهم المختلفة، لذلك أولوا وصفها عناية خاصة، وأضافوا إليها من مخيلاتهم الخاص، فامتزج فيها المتخيل مع الواقع وتعد رحلة الورثيلاني الموسومة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار من الرحلات تحمل هذا الوصف، وهي من خلال العنوان تحاول التأريخ، ليس لحياة الشخصية فقط والأشواط التي قطعتها في حياتها، وإنما التأريخ لتلك المدن التي زارها الورثيلاني بكل ما تحمله من قيم ثقافية وحضارية، سواء داخل الوطن أو خارجه، فالرحلة على تنوع أسفارها وفضاءاتها المكانية، رّسخت تاريخا ثقافيا، وآخر اجتماعيا منفتحا على تأليفات عديدة تتقاطع معها، وبفعل تراكمها الكمي والنوعي، صارت تشّكل نصا فريدا تجاوز إطاره الجغرافي ليصبح نصا كونيا بامتياز، يخترق مختلف الحدود والآفاق، لذلك فضلت أن أتناول في هذه الورقة البحثية موضوع الوصف وبلاغته في تشكيل الفضاء الجغرافي في هذه الرحلة.[1]

تتمتع طرابلس الغرب بموقع جغرافي استراتيجي فريد جعلها تكون أقصر مسافة من سائر أقطار الشمال الإفريقي الأخرى المطلة على البحر الابيض المتوسط و أكثر اتصالا بالمناطق الافريقية الواقعة

[1]- د.رويدي عدلان، **مرجع سابق**، ص2.

فيما وراء الصحراء الكبرى، و لذا أصبحت بعض الواحات الليبية الداخلية و مراكزها التجارية حلقة وصل ما بين شمال القارة الافريقية و بين بلاد السودان الأوسط و الغربي.

وهناك عوامل ساعدت ليبيا على أن تكون البوابة الشمالية لدواخل القارة الإفريقية خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر.

الأهمية الجغرافية:

لأنها أصبحت جسرا يربط بين البحر الأبيض المتوسط و السودان الأوسط و الغربي، و ثانيهما: العامل السياسي، فوجود يوسف باشا القرهمانلي على قمة السلطة في طرابلس الغرب (1795-1832) قد دعم أهمية طرابلس السياسية، لأنه تمكن من السيطرة على قوافل التجارة عبر الصحراء و في عام 1811 م احتل فزان، و بالتالي أصبح الطريق المؤدي من طرابلس إلى بورنو تحت سيطرة يوسف باشا القرهماني، و ذلك منذ عام 1818م.[1]

تشكل منطقة غرب ليبيا أقصر الطرق المؤدية إلى ما وراء الصحراء و أسهلها، وهي طرق تربط في الوقت نفسه بين موانئ البحر المتوسط وواحات فزان من جهة و بلاد السودان من جهة أخرى، و يعزو تفرد ليبيا بهذه الميزة الاستراتيجية أن سواحلها تمتد حوالي (500) خمسمائة كيلومتر جنوبا، مما جعلها أكثر مناطق الشمال الإفريقي قربا لبلاد السودان الغربي و الأوسط، فضلا عن أنها لا توجد بها عوائق طبيعية، كما هو الحال بالنسبة لسلسلة جبال الاطلس،[2] كما يلاحظ أن مناطق الجنوب الليبي المتاخمة لمنطقة حوض تشاد تعاني من شح الأمطار و تعتمد الحياة فيها على الواحات التي يحترف سكانها الفلاحة و الري، بالإضافة غلى المبادلات التجارية في السلع المحلية و سلع العبور الإفريقية الوافدة من حوض البحر المتوسط، و كان لهذه الواحات دور بارز في النشاط التجاري بينها

(1) -Boahen , A ,A ,Britain, **The sahara and the western sudan**, 1788-1861, OXFORD: clarendon press, 1964,p45.

(2) -Mark, Dyer **: The foreign trade of western LYBYA**, Boston university, graduate school,1987; Unpulished Diss, p106.

و بين بلاد السودان، و بالتالي صارت مركزا لتسويق السلع السودانية و توزيعها على الأسواق العربية و الأوروبية.[1]

يذكر الورثيلاني أنه لقي ترحابا كبيرا في منطقة طرابلس، و قد مكث بها حوالي عشرة أيام التقي فيها بعلماء المنطقة ومن ضمنهم من تعرف عليهم في حجة سابقة. يقول في وصف أهل المدينة و ضواحيها "وأما أهل الخير و الصلاح فلا أستطيع عدهم لكثرتهم جدا لاسيما الساكنون بخارج المدينة، وأما في المدينة (ويشير إلى عدد من العلماء أمثال الشيخ المفتي سيدي محمد بن مقيل و الفقيه المدرس سيدي عبد العزيز و أولاده) فأخذوا من قلبي مجامعه و لنا ما لهم و علينا ما عليهم حبا في الله ... فقد أجادوا في إحساننا كسوة و إطعاما و شراء ما نحتاجه.[2]

و يعتمد الورثيلاني على مصادر تاريخية عدة في وصف مدينة طرابلس فيشير إلى ما ورد عن الشيخ محمد بن علي، شارح الشقراطسية، و نقلا عن البكري، من أن "طرابلس بالعجمية ثلاث مدن قال وعلى مدينة طرابلس سور ضخم جليل البناء وهو على شاطئ البحر وبها أسواق حافلة و حمامات كثيرة فاضلة وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون و مرساها مأمون من أكثر الرياح، و مدينة طرابلس كثيرة الثمار و الخيرات وبها بساتين جليلة في شرقيها و يتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير.

ثم يسرد تاريخ طرابلس منذ دخل عمرو بن العاص المدينة سنة ثلاث وعشرين (هجري) وخروج الروم منها إثر ذلك ثم مجيء الترك و الصراع مع النصاري. و قد أسهب الورثيلاني في ذكر علماء طرابلس و مآثرهم بل ومدارسهم الفقهية المتعددة، ثم واصل رحلته في اتجاه البلدات الصغيرة المحاذية للبحر في اتجاه مصر بعد أن تم نقل حوالي ثلاثمائة من أفراد الركب الذين أجهدهم السفر عن طريق الباخرة التي استغرقت اثني عشر يوما إلى الإسكندرية.[3]

---

[1]- مصطفى بعيو، **دراسات في التاريخ اللوبي، الأسس التاريخية للمستقبل اللوبي، الإسكندرية**، مطابع عابدين، 1953م، ص168.

[2]- نفسه، ص 170

[3]- نفسه، ص 174

ثانيا: وصف العمران و القرى و المدن

يهتم الورثيلاني في رحلته بوصف المدن و القرى و من هذه المدن يذكر الخنقة وهي قرية مباركة طيبة ذات نخل وأشجار في وسط واد بين جبلين وقد قيل أنها تشبه مكة في وضعها و في البركة ويصف أيضا وادي الأراك. وبعده دخلنا بين جبال وأوعار، ومضيق أحجار، و حدرات طوال، و صعودات وتلال حتى نزلنا ببندر الوجه المبارك، وصار حصنه متقاربا متدارك، و فرأينا به الآبار الخالية، وحفائر الماء العذب غير خالية".[1]

ثم تأتي العقبة السوداء وهي عقبة صغيرة في حرة سوداء ذات أزهار وأشجار ويقال أنها أول أرض الحجاز، وهي أول بلاد الحجاز في الذهاب وآخرها في الرجوع، بها حدائق ونخيل وعيون بين زروع تسيح وتسيل، وكان به سور، منيع و جامع مفرد وسيع، وبيوت فسحة الرحاب فآل أمرها إلى الخراب، وبه الآن سوق الحجاج، يأخذون منه الذخيرة عند الاحتياج، وبه أفران وحيشان كبار، وعشش تسقى فيها القهوة من أيدي الجوار.[2]

ويصف أيضا مدينة تورغا الليبية بأنها بلدة منقطعة أول برقة فيها نخل كثير ... وماء هذه البلدة غزير في وسط السبخة وهم ساكنون في الأخصاص ولا يبنون بالطين إلا مواضع الخزين يبنونها بالطين و الأحجار يحفرون عليها فيستخرجونها بنحت الأرض و هي أحجار سود وبناؤهم لا يكاد ينهدم وهي واسعة جدا لا يقدر الإنسان أن يحيط بها في يوم واحد وعينهم غزيرة تسع ألف ساقية فيما ذكروا ولا يحرثون حرثا و لا يغرسون غرسا إلا النخل فقط.[3]

---

(1)- الورثلاني، **مرجع سابق**، ص408.

(2)- نفسه، ص409.

(3)- نفسه، ص409.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي

الرحالة لم يعد يهمه تحديد الموقع الجغرافي، بل تجاوز ذلك إلى الوقوف على عادات الشعوب وتقاليدهم، معتقداتهم وخرافاتهم، لهجاتهم ومعالمهم الأثرية من متاحف، مساجد، معالم تاريخية، فمن النّاحية الاجتماعية نجد الرحالة يتحدث من أحوال المعيشة، عن كل ما لفت انتباهه.

وصورت الرحلات المحطات الهامة في حياة الإنسان : الميلاد والزروج والموت، وكل ما يرتبط بهذه المناسبات من مظاهر اجتماعية واحتفالات بالمناسبات السعيدة أو الحزينة، وما يرافقها من العادات والتقاليد والبدع التي قد تختلف من بلد إلى آخر بنسب متفاوتة فيه.[1]

الفساد الديني و الأخلاقي

تمعض البطل المصلح الاجتماعي في كثير من المواقف، من بعض الظواهر الاجتماعية الّتي خرجت عن مسار شرع دين الله القويم في بعض المدن و القرى و العروش و القبائل، و البوادي، فرغم استحسانه استقبال أهل "زّمورة" إلّا أّنه ينتقد أمو ار جّمة عاينها، فيقول: "كثيرة السمن و اللحم و القمح، و المياه الباردة و الديار الواسعة، و الثياب الحسنة الرهيفة من الصوف و الكتان، و كل ذلك مناقض للخشية أوصاف العبودية و إنما هو مثير للشهوات و المخالفات من إظهار المعاصي...، وقد اشتدت القسوة على قلوبهم، و هي أشد قسوة من الحجارة، و قد ألفوا ذلك من آبائهم و أجدادهم، قبح الله رأيهم، فإن أنكرت عليهم أو تغيرت بسببهم ربما عادوك، و رموك بما لا يليق بك ... حاصلة أهل هذه البلدة متصفون بالبدع و الشيعة، و الأحوال الخسيسة من الرذائل المنهي عنها عمها شرعا و زادوا على ذلك أنهم لا تأخذهم الأحكام، إذ يأكلون التراث أكلا لما و يحبون المال حبا جما ... حاصلة أوصافهم و طبائعهم ، خارجة عن طرق أهل الإصلاح.[2]

---

[1]- نوال عبد الرحمن الشوابكة، **مرجع سابق**، ص15.

[2]- الحسين بن محمد الورثيلاني، **الّرحلة**، مصدر سابق، ص808.

ينم كلام المرء عن مكنونات داخلية، وذلك ما يوحي به كلام الشيخ الورثيلاني فيما سبق إيراده، و هو الّذي لبس ثوب المصلح الديني، الذي رأى صورة الإسلام مشّوهة في مجتمع يدعي التّدّين بدين الإسلام –حسب رأيه– لكّنه وجده على شاكلة بعيدة عنه، رغمي أّنهم في العصر نفسة، وتسري عليهم الظّروف نفسها، فوقف موقف المنتقد المستنكر لما يحدث، ناظرا إليهم على أّنهم حادوا عن جاّدة الّ صواب، فصّنفهم خارج دائرة المسلمين، الّذين يعتبر الّرحالة واحدا منهم وتهميشا لهم، تحّدث عنهم بصيغة الغائب، منّ صبا نفسه مرشدا دينّيا، عمل على التنبيه إلى ما رآه يخالف الّ شرع، وتلك أولى خطوات الإصلاح و التأديب.

المبحث الثالث: الجانب الثقافي

أولا: حركة التصوف

إن حركة التصوف التي عرفتها ليبيا في تلك الفترة ترجع إلى العلماء والفقهاء وأركاب الحج وطلاب العلم الذين مروا بالأراضي الليبية حيث طاب لهم المقام فاستقروا، مما مكنهم من نقل مختلف العلوم والمعارف إليها وخاصة الدينية منها والذي يعد مساهمة قوية وفاعلة في الإشعاع الديني والثقافي، وأولئك الذين نقلوا عن أسلافهم تلك العلوم والمعارف وكان من بينهم "عبد السلام الأسمر" "ومحمد حسن ظافر" "ومحمد بن عيسى المكناس" "وعبد القادر الجيلاني الكيلاني" "وأبو الحسن عبد الله الشاذلي" وأحمد ابن العباس الزروق" "وأحمد بن يحي الرفاعي"الحسين أبو العباس" "ومحمد بن علي السنوسي" وغيرهم من الفقهاء والعلماء والورثلاني هو الآخر أورد شهادة أكد فيها على وجود الشيخ زروق كعلم من أعلام التصوف بقوله"... ونزلنا في محل قريب من الشيخ زروق.[1]

[1]–الحسين بن محمد الورثلاني، نزهة الانظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، ص 571.

ثانيا: المساجد

قول الورثلاني "...ومساجد للجمعة نحو الخمسة وبعضها في غاية الإتقان كمسجد الباشا في طرابلس وأظن أن صانعها واحد، وهذه المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من يسقط منه أن يهلك بل يموت قطعا واسعة الأرزاق، كثيرة الارتفاق، ممدودة الإنفاق تحتها واد كبير وماءه عذب منه يشربون، إذ ينقلون ماءه إلى الديار يسقون ويغسلون ويغتسلون وعليه بنيت المدينة من قديم الزمان..." يقدم لنا هذاّ الوصف صورة على المدينة، فيحيل إلى أهم المعالم الحضارية في المدينة خصوصا ما يحمل خصوصية دينية وحضارية، وهذا ما نلمسه في عملية وصف البنى الجغرافية، الذي تم بطريقة انتقائية ومقصودة.

لقد كان للمؤسسات التعليمية والفكرية بولاية طرابلس سواء كانت التي كانت في شرقها أو غربها و في مركز الولاية وضواحيها الدور الأساسي والبارز والمهم في نشر العلم والمعرفة والمتمثلة في الزوايا والكتاتيب والمدارس حيث استمرت في دورها على مر السنين، أما المساجد وهي إحدى المؤسسات التعليمية والفكرية، التي لعبت دورا في الحياة الفكرية يضاف إلى دورها الديني والروحي فقد شكلت القاعدة السياسية للحياة التعليمية.[1]

ثالثا: المدارس العثمانية

من خلال البحث في المصادر التاريخية، و نظرا إلى ربط العديد من الاقتباسات المعرفية و بالاعتماد على معطيات عدة، يتبين لنا الحكم المعمول به في المؤسسات التعليمية إبان الحكم العثماني، و تنقسم هذه المؤسسات إلى عدة أطوار تكاملية في ما بينها برغم تباينها، إذ يمر المتعلم على مراحل من أجل تطوير معارفه و الرقي بمستواه العلمي، فالتالي يشرح الأطوار التعليمية المعمول بها آنذاك:

[1]-الحسين بن محمد الورثلاني، مرجع سابق، ص 576.

أ–التعليم الابتدائي:

كان يتم هذا النوع من التعليم في غالب الأحيان فيما يسمى بالكتاتيب أو المدارس الابتدائية يتلقى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة و الرابعة عشر فيها تعليما محدودا، يتمثل في تلقينهم مبادئ القراءة و الكتابة و الحساب، و من هنا يتبين لنا مدى أهمية هذا الطور.

يمكننا القول أيضا أنه إبان العهد العثماني كانوا ينتهجون نهجا تعليميا تقليديا لا يركز على العلوم الدنيوية، و لكنه يكتفي بتدريس العلوم الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وصولا إلى الفقه و غيره.

في هذه المرحلة يتثقف الطفل و يتربى على قواعد الإسلام، و على نمط اجتماعي محدد، و هي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم الذي هو اساس الثقافة الإسلامية، كما يتعلمون مبادئ العلوم و القراءة و الكتابة، فيحفظون لسانهم من العجمة و يتوحدون في التفاهم و التخاطب حيثما كانوا، وهي أيضا تساهم في إعطاء الطفل رصيدا من المعارف التي تساعده على شق طريقه في المجتمع بعد خروجه منها عندما يبلغ الرابع عشرة سنة.

ب–التعليم الثانوي:

لم يكن الانتقال من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي بطريقة منتظمة، فكثيرا من التلاميذ كانوا ينقطعون عن الدراسة تماما و لا سيما أبناء الفقراء، فقليل منهم من يسعفه الحظ لمواصلة تعليمه، وقد اقتصرت العلوم المدروسة على العلوم الدينية و اللغوية و بعض كتب التاريخ و السيرة و الطب.

ج–التعليم العالي:

يصل إلى هذا المستوى الطلبة المتفوقون الذي يتميزون بالذكاء و الحفظ و الإدراك، إذ لا يسمح لذوي المستوى المحدود أن ينتقلوا إليه، أما من ناحية المواد الدراسية فلا يوجد اختلاف كبير بينه و بين الطور السابق إلا من ناحية التعمق في الدراسة، و مهما كان الأمر فإن أهم العلوم التي كانت تلقن بشكل محدود هي: الحساب، الفرائض، الوثائق، علم الفلك و الطب و الصيدلة.[1]

[1]– أبو القاسم سعد الله، **مرجع سابق**، من 279 إلى 352.

و تتجلى مصادر تمويل التعليم في المؤسسات الدينية و التعليمية في ما يلي:

أ-الأوقاف (الحبوس):

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، فهو أساسا يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم، و عن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي، وقد تطور تطورا ملحوظا عبر الزمن، خاصة في العهد العثماني نتيجة اعتبارات سياسية و اقتصادية.

و أنواع الوقف كثيرة و ليس من السهل حصرها، فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكان أو دار أو نحو ذلك، و يستعمل في أغراض كثيرة منها العناية بالعلم و العلماء و الطلبة الفقراء و العجزة واليتامى و أبناء السبيل و من أهم أغراضه العناية بالمساجد و المدارس و الزوايا و الأضرحة، و يظهر من ذلك أهميته في الحياة الدينية والتعليمية و الاجتماعية، فهو مصدر العيش للزوايا و الاضرحة وأيضا غيرها من المؤسسات الدينية، كما أنه مصدر الحياة و النمو للمساجد و المدارس و الكتاتيب ومعيشة العلماء و الطلبة.[1]

إن منهجية التعليم كان لها كل الأثر على النمط الاجتماعي في طرابلس الغرب خلال العهد العثماني ومالا يمكن إنكاره أنها كان حاثا و سببا رئيسيا لانتهاج حركة التصوف آنذاك .

ب- الصدقات و التبرعات:

كانت تقدم من طرف المحسنين، على كافة أطيافهم، سواء كانت عبارة عن بضائع كالأفرشة، أو مواد غذائية كالمأكولات، أو في شكل نقود أو مجوهرات، فمثلا الزوايا كان لها مورد مالي هام جدا والذي يتمثل أساسا في أموال الزيارات خاصة إذا كانت بجوار ضريح و كذلك الوعدات التي تنظم خلال فترة معينة، أين تصرف هذه الأموال على الطلبة لحفظ القرآن الكريم و القائمين على خدمتها من وكلاء، مقدمين، مؤذنين، الأئمة و المشايخ.[2]

---

[1]- نفسه من 227 إلى 231.

[2]- يحي بوعزيز، **موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب**،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة الجزائر، 2004، ج1، ص280.

المبحث الرابع: الجانب السياسي

أولا: الصراعات السياسية

تكالب الاستعمار الأوروبي على طرابلس الغرب أهدافه و وسائله مع إدراك كل قوى الاستعمار الأوروبي لأهمية ليبيا الاستراتيجية و الجغرافية، إلا أنها تباينت فيما بينها في اهتماماتها باحتلالها واستعمارها لأسباب سياسية بالدرجة الأولى، و حسم موقف ليبيا كمستعمرة أوروبية لصالح إنجلترا في البداية و إيطاليا في النهاية بعد أن طوت صفحتها فرنسا مكتفية بجارتيها تونس و الجزائر.[1]

ثانيا: الحروب السياسية

و ترك التكالب الاستعماري للسيطرة على طرابلس الغرب أثرا سلبية على الوضع الاقتصادي للبلاد، حيث أدى إلى أن فقدت طرق القوافل التجارية مركزها الاقتصادي، بعد أن تحولت التجارة العالمية إلى ساحل المحيط الأطلسي و بالتالي ضرب الكساد أطنابه على المراكز التجارية الصحراوية في الواحات الليبية، الأمر الذي كانت له انعكاسات سلبية أيضا على الحياة الاجتماعية في تلك النواحي و بما أن طرابلس الغرب تعد بوابة افريقيا في اتجاه ما وراء الصحراء فإن الدول الأوروبية أدركت أهميتها الاستراتيجية، و بدأت تسعى لأن يكون لها نفود في البلاد، إذ جندت قناصلها المعتمدين لدى بشا طرابلس لتحقيق ما تصبو إليه و دعما لمخططاتها الرامية علاقات وطيدة مع حكام بلاد السودان الليبية.[2]

---

[1]- يحي نصير الأبيض، **طرابلس الغرب في كتب الرحالة خلال القرن ال19 عشر**، قسم التاريخ، جامعة الفاتح.

[2]- نفس المرجع السابق، ص40.

المبحث الخامس: الجانب الاقتصادي

ما كان لوصف المدن و البقاع أهمية خاصة من الناحية الاقتصادية فقد ساعدت الدولة الإسلامية في تحديد ثروة تلك البلاد و معرفة قدرتها على دفع الجزية و الخراج.

حيث قد مهر « العرب في التجارة، و إن كان ذلك داخل نطاق محدود في الجاهلية، فهم يرحلون رحلتهم في الصيف و الشتاء إلى الشام و اليمن، و لكن بعد إسلامهم اتسع نطاق تجارتهم تبعا لاتساع دولتهم، بل لقد تعداه إلى أماكن لم يصلها غيرهم و لم يكتفوا بالرحلة برا بل ركبوا البحر أيضا.

وبالتالي تكون لغرض التجارة و تبادل السلع، أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو جلب سلع تتوافر في بلاد أخرى، و تندر في بلد المسافر، و قد تكون هربا من الغلاء، و سعيا وراء الرخص، و السير، و الوفرة أو العمل ،و كذلك لجمع التبرعات و المعاونات كرحلات الجمعيات الخيرية.[1]

لطرابلس الغرب الاقتصادية أهمية بالغة إبان العهد العثماني فيما يخص تجارة العبور الصحراوية بفضل موقعها الجغرافي المتميز كونها تعد مركزا أساسيا تنصب فيه طرق القوافل الفرعية و الرئيسية الوافدة من الشمال و الجنوب والشرق و الغرب و منه فقد صارت الواحات الليبية الداخلية مثل مرزق و غاث و غرامس محطات رئيسية لاستراحة القافلة التجارية الوافدة و استجمامها و بالتالي صارت مكانا لإيداع السلع التجارية العابرة الصادرة منها و الواردة تسويقا و توزيعا[2].

و نشطت تجارة العبور في طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر و احتلت مكانة أساسية في الاستيراد و التصدير، فكان ليوسف باشا آنذاك في إيالة طرابلس الغرب أثر كبير في تنشيط العلاقات الاقتصادية بين هذه الايالة و بين أسواق بلاد السودان الأوسط و الغربي من جهة و بين أسواق حوض البحر الأبيض المتوسط و الأسواق الأوروبية من جهة أخرى، و برزت فعالية طرابلس الغرب في التجارة الصحراوية و ذلك بفضل ما يلي:

---

[1]- إيمان براهمي، **مرجع سابق**، ص 12.

[2]- رجب نصير الأبيض، مرجع سابق، ص 153

أولا:

كانت الواحات الداخلية جسرا يربط بين البحر الأبيض المتوسط و بين بلاد السودان الأوسط والغربي أي هي أقرب المناطق لهذا البحر من أي منطقة أخرى بالنسبة لتلك النواحي، وقد سهلت هذه الأهمية لاستيراد السلع الأجنبية بكميات كبيرة و لهذا كانت معظم السلع الموجودة في البلاد ذات منشأ محلي، كما لم يكن هدف هذه السلع الاستهلاك المحلي أيضا، بل كانت موجهة للعبور إلى الأسواق و تحديدا مناطق الاستهلاك الصحراوية و ما وراء ذلك[1].

ثانيا:

هناك سبب نابع من وجود يوسف باشا القره ماني على قمة السلطة في طرابلس الغرب خلال الفترة 1795 هـ/1832 م، فقد استطاع التحكم في تجارة القوافل الصحراوية خاصة بعد إنشاء علاقات نيجيرية، و تمخض هذا العمل السياسي عن تصاعد حجم المعاملات التجارية و كذلك زيادة السلع الواردة و الصادرة عبر الواحات الليبية.

ثالثا:

لقد سارع بعض كبار التجار و نخبة من ملاك الأراضي في الساحل الليبي و مناطق الواحات الداخلية الاشتراك في تجارة العور بأنفسهم أو عن طريق وكلاء تجاريين وكلوا لهم و جنوا الأرباح الوفيرة منها، و لكن هذا العائد لم يستغل بصورة فعالة في تنمية البلاد الاقتصادية بسبب ضيق فرص الاستثمار و شح المواد الخام المحلية و الإنتاج الزراعي و لذا كانت معظم الطبقات الإجمالية التي أصابها الثراء من التجارة تنفق أموالها في شراء الكماليات و الأشياء الاستهلاكية.[2]

---

[1]- Mark. F. Dyer pp 105-106

[2]- د.رجب نصير، **مرجع سابق** ، ص156.

رابعا:

إن طرابلس الغرب وواحاتها و أسواقها الداخلية كانت تعتمد على تجارة العبور للمحافظة على توازن ميزانها التجاري خاصة سلع بلاد السودان و منتجاتها التي تعد أساسية في تغطية نفقات ما يحتاجه أهل البلاد من الجنوب المستوردة في مواسم القحط و الجفاف.[1]

خامسا:

تستورد من المناطق الصحراوية و بلاد السودان البضائع المصنعة و ريش النعام و العاج و الرقيق وغيرها ، و يلاحظ أنه بالنسبة للسلع الكمالية و الاستهلاكية فكان معظمها يأتي من إيطاليا و شرق البحر المتوسط، و هي مناطق توفر أنواعا مختلفة من السلع التي كان يسهل وصولها إلى طرابلس الغرب عن طريق البحر و نقلها للداخل بواسطة طرق القوافل التجارية.[2]

سادسا:

اتجهت أنظار الرحالة الأوروبيين إلى الواحات الليبية باعتبارها تحتل مركزا تجاريا هاما تتوافد إليه القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان الأوسط الغربي و أسواقه.

و بالتالي فإن طرابلس الغرب تعتبر أهم المدن التجارية منذ العهد الروماني حيث كانت المحطة الرئيسية التي تلتقي فيها سلع أواسط إفريقيا مع سلع الشرق و سلع أوروبا و منها يتم تبادل السلع ونقلها إلى أماكن استهلاكها، كما تعتبر مركزا هاما للوكلاء التجاريين لأغلب دول العالم من عرب وأوروبيين و أفارقة، فمدينة طرابلس الغرب مدينة تقع في وسط الساحل الأبيض المتوسط و تعود أهميتها التجارية إلى موقعها الاستراتيجي و لا تفصل بينهما و بين المراكز التجارية أبه معوقات طبيعية. [3]

---

[1]- Mark. F. Dyer .108-7

[2]- د.رجب نصير الأبيض، **مرجع سابق** ، ص156.

[3]- نفس المرجع السابق،ص158.

1. الجهاد البحري و موارده الاقتصادية:

قدر للبحرية الليبية أن تلعب دورا بارزا في إطار الصراع البحري في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث و خاصة في العهد العثماني الأول و القرمانلي الذي اهتم ولاته بدعم النشاط البحري و تقويته زيادة في تمكين دولتهم الفتية مع ما رافق ذلك من تطورات و تيارات دولية ساهمت في بلورة ذلك الصراع البحري بين الجانبين المشرقي الإسلامي و الغربي المسيحي فيما عرف عند الغربيين باسم القرصنة، وهي مفهوم غربي يقابله لدينا الجهاد البحري و لا زالت هذه الظاهرة المزدوجة مثيرة لاهتمام الباحثين ، و قضية ملحة تستدعي ضرورة دراستها و تقييمها من جديد.[1]

2. تجارة القوافل الصحراوية:

عند الحديث عن تجارة القوافل الصحراوية لابد من تسليط الضوء طرق القوافل التجارية الرئيسية التي ساهمت في بروز طرابلس مركزا رئيسيا بين أسواق السواحل الليبية و مراكزها التجارية الداخلية من جهة وبين بلاد السودان الأوسط و الغربي من ناحية أخرى، و ما ارتبط بهذه الطرق من مسائل حيوية مثل كيفية تنظيم القوافل التجارية و حمايتها وكذلك سلع العبور الصادرة و الواردة من الشمال إلى الجنوب و العكس.[2]

3.البيوتات التجارية:

اشتهرت عدد من البيوتات التجارية في تنسيق و تسيير القوافل التجارية و نقل سلعها و بضائعها إلى أماكن تصريفها فضلا عن القيام بدور الوساطة التجارية بين التجار و موكليهم و عادة ما يشرف البيت التجاري على مهمة عقد الصفقات التجارية بين التجار و بين المستوردين و المصدرين و يورد غورته أن البيت التجاري يسنف مهمة الإشراف احيانا إلى تاجر من أصل عربي يمتلك بيوتا أو عقارات تتمثل رهنا مقابل جميع البضائع و الجمال و كل ما هو ضروري لتجهيز القافلة و لا يخضع قائد القافلة غلى أية أوامر فيما يتعلق بهذه الرحلة و الإقامة في الاسواق أماكن البيع و الشراء

---

(1)- نفس المرجع السابق، ص158.

(2)- نفس المرجع السابق، ص160

والمقايضة، كل ذلك يخضع لتقديرات دائما بعد عودة القافلة و تقدير البضائع التي اصطحبتها يسحب صاحبها المبالغ التي اتفق عليه قبل انطلاق القافلة و إذا وقعت أي خسارة يجري تحميلها بصورة جماعية و لهذا يكون الراهن بمثابة ضمانة و إن قادة القوافل لا يتحملون أية مسؤولية عن الخسائر التي تنجم عن ظروف غير طبيعية كالسلب أو الحرب و أن أي خلل من قائد القافلة يؤدي بطبيعة الحال إلى إنهاء عمله.[1]

4.الأسواق:

اشتهرت طرابلس الغرب بكثرة أسواقها و تعدد صناعاتها ، فقد كان بطرابلس الغرب أسواق منتظمة و هي أسواق متقنة و إن المدينة كانت مدينة تجهيز القوافل التي تخترق الصحراء إلى إفريقيا وهي محط الرحال بين المشرق و المغرب و ملقى الحجاج في ذهابهم و إيابهم و قد سبب ذلك لها نموا في الصناعة و التصنيع و تعدد الأسواق السلعية التي تعرف باسم السلع التي تباع فيها المصنوعات المتنوعة و معنى هذا أن الحركة الاقتصادية كانت نشطة في مدينة طرابلس الغرب منذ زمن بعيد وكانت الأسواق بها متعددة سواء لبيعها أو لصناعتها و متخصصة في سلع معينة و كانت هناك أسواق أسبوعية و أسواق موسمية تقام عدة أيام عند وصول القوافل و تقام خارج المدينة أي أن هناك أسواقا صناعية مثل سوق القزدارة لصناعة الأواني النحاسية و سوق الحدادة و سوق التجارة و سوق البنادق و سوق الحرير لصناعة الأردية الحريرية و أسواقا لبيع السلع مثل الخرادجية و سوق الخبر.[2]

وتنوعت السلع في طرابلس الغرب من حيث التصدير و الاستيراد فمنها ما عبرت من ما وراء الصحراء إلى الشمال، و منها ما عبرت من ما وراء البحر المتوسط إلى الصحراء الكبرى.

---

[1]- نفس المصدر السابق، ص168.

[2]- صلاح الدين حسن السوري، **الضرائب العثملنية في ولاية طرابلس الغرب و متصرفية بنغازي في العهد العثماني الثاني**، ص409.

5.الواحات و نشاطها في التجارة الداخلية و الصحراوية:

إن دراسة نشأة الواحات الليبية و تطور مكانتها تقضي بالضرورة إلى الوقوف أمام المكانة التي كانت تتمتع بها في النشاط التجاري إللى جانب كونها جزءا من عملية الإنتاج الزراعي، و قد برزت في بعضها سمتها كمدينة سوق ة محطة تصريف و تجميع على الطرق التجارية الرئيسية ، و تحديدا الطرق العابرة للصحراء و من أبرز هذه النماذج غرامس و زويلة و جرمة و أوجلة قديما و يضاف إليها مرزق و غاث التي برزت في ومن متأخر عنها نسبيا، و نقتصر هنا على تناول المراكز الثلاثة التي استمرت محافظة على مكانتها حتى القضاء على تجارة القوافل و هي مرزق و غاث و غدامس.[1]

6.الزراعة و تربية الحيوان:

يعتبر اقتصاد طرابلس الغرب الأساسي اقتصادا رعويا و زراعيا و تسود حرفة الرعي جميع أرجاء الإقليم بالإضافة الى مناطق كبيرة من سهل الجفاوة و من جبل ترهونة في الإقليم الغربي و تتركز الزراعة حول المدن الساحلية و في السهول الداخلية و هضاب الجبل الغربي و الجبل الأخضر في إقليمي طرابلس الغرب و برقة و هذا المظهر أساسا مرتبط بالعوامل الطبيعية.

و يعتبر النشاط الزراعي في طرابلس موردا إنتاجيا مهما يتصدر قمة اقتصادها و ذلك لاتساع مساحة البلاد و امتداد الساحل الليبي من الشرق إلى الغرب مسافة 1900 كم ووفرة أمطاره في معظم السنوات.[2]

نبذة عن الرحلات الأخرى التي قام بها حسين الورثلاني:

و بعد انتهاء رحلة الورثلاني من طرابلس الغرب وتستمر عملية الوصف لمختلف الفضاءات الجغرافية في أماكن أخرى ، وتمشيطها وفق بلاغة خاصة، تتكأ على جملة من المحفزات الواقعية، هذه المحّفزات التي تعمل في إطار الاستثمار في كل ماهو عجائبي ومثير للدهشة.

فيصف لنا مدينة قسنطينة، هذه المدينة التي ألهمت الكثير من الرحالة والمبدعين والشعراء، عبر حقب زمنية مختلفة فنالت إعجاب زائريها، فيصف المدينة قائلا: « قسنطينة وهي مدينة قوية ليست

---

(1)- د.رجب نصير الابيض، **مرجع سابق**، ص207.

(2)- نفس المصدر السابق، ص212.

كبيرة جّدا ولا صغيرة أيضا وعليها سور كبير وفيها أبواب ثلاثة، باب الوادي، باب الحابية، وباب القنطرة، وفيها بويب صغير يخرج منه الآدمي، وفيها أسواق كثيرة ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة نحو الخمسة وبعضها في غاية الإتقان.

و يتوجه بالوصف إلى مسجد الباشا في طرابلس وأظن أن صانعها واحد، وهذه المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من يسقط منه أن يهلك بل يموت قطعا واسعة الأرزاق، كثيرة الارتفاق، ممدودة الإنفاق تحتها واد كبير وماءه عذب منه يشربون، إذ ينقلون ماءه إلى الديار وفيه يسقون ويغسلون ويغتسلون وعليه بنيت المدينة من قديم الزمان يقدم لنا هذا الوصف صورة بانوارمية على المدينة.

فيحيل إلى أهم المعالم الحضارية في المدينة خصوصا ما يحمل خصوصية دينية وحضارية، وهذا ما نلمسه في عملية وصف البنى الجغرافية، الذي بطريقة انتقائية ومقصودة، حيث نلمح مباشرة بلاغة خاصة في انتقاء الفضاءات التي تحمل شحنات دلالية، تأدي مهام عديدة على المستوى الحضاري والجغرافي وهذا ما يضمن درجة عالية من المقروئية والاهتمام من قبل المتلقي، وتخلق فيه المتعة والرغبة في متابعة أخبار الرحلة والسفر في مضمارها، وهذا يتّم عبر الإشتغال على عنصر الوصف، وتشكيله وفق طريقة خاصة، مع تطعيمه بمختلف المحفزات التي تثير القارئ وذلك بتوظيف الأسطوري والغرائبي لمس هذا لما يصل الرحالة إلى مصر، هذه المدينة الأثرية العريقة كان لها حضور خاص ضمن رحلة الورثيلاني، إلى درجة الإعجاب الكبير بها فيقول:

" ومن عجائبها في كل شيء أنك إذا رأيت شيئا عظيما ثم رأيت شيئا أعظم منه نسيت الأول ثم كذلك إلى هلم جر"[1]

[1]- د. رويدي عدلان، **مرجع سابق**، ص9

في ختام هذه الورقة البحثية يمكن الخروج بجملة من النتائج تمثل خلاصة هذا البحث المتواضع، الذي يخص حقلا معرفيا ونصا إشكاليا يحبل بالعديد من القيم الحضارية والثقافية التي تخص تلك الفضاءات الجغرافية، التي تكمن أهميتها لا في كونها كتل جغرافية وطوبوغرافية، ولكن في كونها وعاء حامل لمختلف الشحنات الدلالية التي تخفي العديد من الأنساق المعرفية والثقافية والحضارية والإيديولوجية، والجميل في الرحلة أّن الورثيلاني نقل لنا شهادات صادقة عن تلك الأصقاع الجغرافية، وتضاريسها ومنحها أبعادا تاريخية وحضارية في غاية الأهمية، ها قدمت لنا صورة واضحة عن هذه المدن والجغرافيات وخصوصيات شعوبها، كما أنار لنا الكثير من الحلقات المفقودة حول تاريخ تلك الشعوب وطبائعها، وأحوالها وأنماط عيشها، فكان بحق أنثروبولوجي زمانه، وقد أولى الورثيلاني المعالم الأثرية والتاريخية، والأبنية والأزقة والمساجد أهمية كبيرة، لأنها تمثل خصوصية ثقافية ودينية لتلك المجتمعات.

نشيد بالذكر أه من خلال هذا الفصل تكننا من كشف الغموض عن الأوضاع السياسية الداخلية لطرابلس الغرب و كذا الاقتصادية، و مدى ترابط كل هؤلاء بالبنية الاجتماعية.

الخاتمة

خاتـــــــمة :

من خلال بحثنا المتواضع هذا، و الذي اخترنا أن يشمل حقلا معرفيا و دراسة إشكالية تحمل العديد من القيم الثقافية و الحضارية يمكننا أن نستنتج أن طرابلس الغرب لا يختص بكونه كتلة جغرافية و طوبوغرافية فحسب، بل هو مصدر غني و مادة دسمة للباحث لما يخفيه من أنساق معرفية و ثقافية و حضارية و إيديولوجية.

إن السبب الرئيسي في حركو و هجرة الأفراد يشكل تاريخ الرحلة منذ قدم الإنسانية ذاتها و قد دفع البحث عن الدفء و الملاذ و رغد العيش الإنسان منذ الأزل إلى ذلك في شكل أفراد أو جماعات إلى الإرتحال فحرصوا على توفير كل الإحتياجات و شكل الدافع الإقتصادي و السياسي مزيجا بينهما و بين الكشف عن المعرفة و تحصيل العلم دوافع و أسباب مباشرة للترحال.

إن للرحالة الجزائريين كغيرهم من المغاربة و مدوناتهم دورا أساسيا في تلبيد ظلام المجهول حول عدة أوطان، فأصبحت كتبهم مصدرا غنيا و منهلا للمؤرخين و العلماء و الباحثين و الطلبة فيشتى العلوم المختلفة كعلم الإجتماع و الجفرافيا و التعرف على التقاليد و العادات لشعوب أخرى، كما أنها تصف لهم الحياة العلمية و شكل البحوث و كذا العلاقات التي تربط بين العلماء، و تعرفهم عللى المظاهر التي غفل عنها المؤرخون في كثير من الأحيان، إذن هي ذات قيمة علمية و تاريخية عالية تساعدنا على فهم الصورة الواضحة، حول طرابلس الغرب إبان الحكم العثماني.

و لطرابلس الغرب موقع جغرافي استراتيجي جعل منها جسرا للتواصل التجاري باهتمام أصحاب الرحلات المغربية حيث وصفوا تموقعها و مدى أهميتها في الحياة الإقتصادية.

إن الرحلة الورثلانية تتميز بكون أن صاحبها تبنى شتى جوانب طرابلس الغرب من خلال وصوله إليها، فنقل شهادات صادقة و شاملة عن هذه الأصقاع الجغرافي، راويا تفاصيلها التضاريسية فمنحها أبعاد تاريخية و حضارية بالغة الأهمية، و سرد حضارة و خصوصية شعوبها، كما أنه وصل انقطاعا و سد فراغا تاريخيا مهما، انطلاق من النمط المعيشي و أحوال الشعوب متناولا جوانبها الاجتماعية المتأرجحة بين الصلاح و الفساد الاخلاقي و تبيان صفاتها باختلاف أنواعها، وصولا إلى البنى العلمية و التعليمية و مدى اهتمامهم بالعلوم النقلية و الجغرافيا و علوم أخرى، فكان بارعا وأنثروبولوجيا بامتياز في عصره آنذاك، ونقل صورا عن البنية الجغرافية، فوصف المدن و العمران والبيئة.

كما أولى الورثلاني الجانب الثقافي اهتماما خاصا فتطرق إلى الجانب الديني و كذا الجانبين الاقتصادي و السياسي و ما طرأ عليها من اضطرابات و صراعات و حروب.

لذلك يمكننا أن نقول أخيرا أن للرحلة الورثلانية الشأن العظيم و كل الفضل لما تحتويه من معارف شاملة و عميقة و مدى شفافيتها أثناء نقل الصورة الواضحة عن طرابلس الغرب و ما تميز به من أنساق إيديولوجية و حضارية تحيل إلى ثقافات عدة، و مدى الانفتاح على قيم عديدة من خلال تدوين هذه الرحلة، مشكلة للباحث منهلا غزيرا و مكثفا للإجابة على تساؤلاتها المعرفية، ومع ذلك تظل طرابلس الغرب بمختلف ميادين بنيتها إشكالا مطروحا بامتياز و مفتوحا ليصاغ بتأويلات عديدة لا متناهية، اجتهد الورثلاني من أجل تغطيتها.

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافية:

أولا: الكتب

1. ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، المجلد6.

2. أحمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير**، دار الكتب العلمية ،بيروت،1398هـ،ج1.

3. أحمد بن علي المقري الفيومي، **المصباح المنير**، دار الكتب العلمية ،بيروت،1398هـ،ج2.

4.أبو الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، المجلد 03، دار المعارف القاهرة(د.ت)، ج 1609،1.

5. أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي ،**إحياء علوم الدين** ،ج2.

6. ابن بطوطة : **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج1 ، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، د ط، الجزائر، ،1989.، دار الكتب العلمية ،بيروت ط 1، 1986

7. ابن بطوطة محمد بن عبد الله، **رحلة منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية** ، سلسلة الدراسات التاريخية 2009. الجماهيرية العربية الليبية

8. ابراهيم أحمد العدوي، **ابن بطوطة في العالم الإسلامي**، دار المعارف، د ط، مصر ،1954.

9. الحسن الشاهدي، **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**، ج 1.

10. الحسين بن محمد الورثيلاني، **نزهة الانظار في فضل عام التاريخ و الاخبار** مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ط1.

11.أبو قاسم سعد الله، **تجارب في الأدب و الرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

12. الحسين بن محمد الورثيلاني، **نزهة الانظار في فضل عام التاريخ و الاخبار** ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، ط2.

13. أبو قاسم سعد الله، **تجارب في الأدب و الرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

14. أحمد أبو سعد ، **أدب الرحلات** .دار الشرق الجديد، ط1،بيروت.

15. بطرس البستاني: **محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية**، مكتبة لبنان،(د،ط)، بيروت،1987.

16. حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، عالم المعرفة، الكويت1989.

17. د.قدسية قريشى، اردو سفر نامه انسيوين مين، نصرت ببلشرز حيدرى ماركيت، آمين آباد لكهنو، 1987م

. **18**. حسين نصار، **أدب الرحلة**، دار نوبار للطباعة ، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1 ،القاهرة،1991 .

19. محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج1.

20.جميلة روباش، **أدب الرحلة في المغرب العربي**، كلية الآداب و اللغات، قسم الآداب و اللغة العربية.

21. كي محمد حسين، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، د ط، بيروت،1981.

22. شوقي ضيف، **الرحلات**، دار المعارف، ط 4، القاهرة

23. صلاح الّدين الشامي، **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة**، منشأة المعارف، الإسكندرية،ط2، 1999م

24.صلاح الدين حسن السور ، **الضرائب العثمانية في ولاية طرابلس الغرب و متصرفية بدغازي في العهد العثماني الثاني**.

25. عبد الرحمان ابن خلدون: **مقدمة ابن خلدون**، الجزء الأول من كتاب العبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان

26. عبد الحكيم اللطيف الصعيدي، **الرحلة في الإسلام أنواعها و آدابها**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ،ط 1.1994م.

27. عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، **لسان المقال**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، سحب الطباعة الشعبية للجيش الجزائري، 2007م

28. عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية و الأندلسية**، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، السعودية،1996 م.

29. عبد الله بن حمد الحقيل، **صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين**، مكتبة التوبة المملكة العربية السعودية، ط:2007،1م.

30.فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط ، 2القاهرة ،، 2002

ابن هشام، ط1995،،1م. **صحيح السيرة النبوية**،إعداد: مجد **31**.فتحي السيد، دار الصحابة،

32. محمد محمود محمدين ،**الجغرافيا و الجغرافيون بين الزمان و المكان** ،دار الخريجي للنشر ،الرياض ،ط2 ، 1996.

33. محمد بن عثمان المكناسي، **الإكسير في فكاك الأسير**، تح : محمد الفاسي، المركز الجامعي للبحث العلمي،المغرب.

34. محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ،**القاموس المحيط** ،دار الجبل ،بيروت، ج2

35.مصطفى بعيو، **دراسات في التاريخ اللوبي، الأسس التاريخية للمستقبل اللوبي، الإسكندرية**، مطابع عابدين، 5718م.

36. مصطفى سالم عبد الله حبلوص، **أدب الرحلات عن العرب**، نشأته وتطوره، "ابن بطوطة أنموذجا"، ط 1

37. مولاي بالحميسي، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1981.

38. ناصر عبد الرزاق الموافي ،**الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع** ،مكتبة الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع،القاهرة ،ط1 ،1995.

39. نوال عبد الرحمن الشوابكة، **أدب الرحلة الأندلسية والمغربية**، حتى نهاية القرن التاسع الهجري،دار المأمون للنشر و التوزيع، عمان، 2008، ط1، 2008م.

40. يحي بوعزيز، **موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر و العرب**،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة الجزائر، ج1.

41. يحي نصير الأبيض، **طرابلس الغرب في كتب الرحالة خلال القرن التاسع عشر**، قسم التاريخ، جامعة الفاتح.

ثانيا: المذكرات و رسائل الماجستير و الدكتوراه:

1. بلحاج ربيحة، **النّص و البنى الثقافيّة في أدب الّرحلة عند الحسين الورثلاني** ، رسالة ماجيستير للحصول على شهادة الدكتوراه، المركز الجامعي بولحاج بوشعيب، جامعة تلمسان،2020/2019.
2. العياشي سامية، بشراير مريم: **الحجاز من خلال مؤلفات الرحالة الجزائرية خلال القرنين 17و18م**، مذكرة لنيل شهادة ماستر بتخصص تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: مياد رشيد، جامعة يحي فارس، المدية، 2018/2019م.
3. سديرة سهام، **أدب الرحلة الماهية و الشكل**، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة.

ثالثا: المجلات و الجرائد

1. مجلة الإيضاح، **أدب الرحلة:** أهميته و أسلوبه و خصائصه و تطوره.

2. مجلة روافد البحوث و الدراسات، **الرحلات الحجازية و العلمية الجزائرية خلال العهد العثماني وحدود إسهامها في تدوين تاريخ الجزائر الحديث**، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، العدد الرابع، جوان 2018.

رابعا: المصادر الأجنبية:

1. Boahen , A ,A ,Britain, **The sahara and the western sudan**, 1788-1861, OXFORD: clarendon press, 1964,p45.

2. Mark, Dyer **: The foreign trade of western LYBYA**, Boston university, graduate school,1987; Unpulished Diss, p106.

فهرس المحتويات

الفهرس:

الاهداء: .....

التشكر: .....

ملخص: .....

قائمة المختصرات:.....

مقدمة ..... أ-ب

الفصل الأول: رحلة مصطلح و دلالات

تمهيد الفصل:..... **Erreur ! Signet non défini.**

المبحث الأول: مفاهيم حول الرحلة 3

أولا: التعريف اللغوي 3

ثانيا: التعريف الإصطلاحي..... 4

ثالثا: الرحلة في القرآن و السنة..... 6

رابعا: دوافع الرحلة..... 8

المبحث الثاني: أنواع الرحلات و تقسيمها.....14

أولا: الرحلة الحجازية 14

ثانيا: الرحلة العلمية 17

ثالثا: الرحلة الاقتصادية 19

رابعا: الرحلة الرسمية.....19

المبحث الثالث: أهمية الرحلة.....21

أولا: أهمية الرحلة.....21

ثانيا: دواعي تدوين الرحلة.....23

ثالثا: موارد تدوين الرحلة.....24

رابعا: أهم الرحلات الجزائرية.....25

خاتمة الفصل: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الثاني: حسين الورثلاني و رحلته

تمهيد الفصل:..... **Erreur ! Signet non défini.**

المبحث الأول: تعريف الرحالة حسين الورثلاني.....29

أولا: اسمه و نسبه 29

ثانيـا: مولده و نشأته 30

ثالثا:ألقابه و مشايخه 31

رابعا: مسيرته العلمية.....32

خامسا: وفاته و آثاره.....33

المبحث الثاني: التعريف برحلة الورثلاني المشهورة بالرحلة الورثلانية 34

أولا: التعريف بالرحلة الورثلانية.....34

ثالثا: المصادر المعرفية 39

المبحث الثالث: مضمون الرحلة الورثلانية 41

أولا: العلوم النقلية.....41

ثانيا: الجغرافيا و الاقتصاد 46

ثالثا: السياسة 49

خلاصة الفصل: ..... **Erreur ! Signet non défini.**

الفصل الثالث: طرابلس الغرب من خلال الرحلة الورثلانية

تمهيد الفصل:..... **Erreur ! Signet non défini.**

المبحث الأول: الجانب الجغرافي 53

فهرس المحتويات:

أولا: لمحة جغرافية عن طرابلس الغرب 54
ثانيا: وصف العمران و القرى و المدن 57
المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي 58
المبحث الثالث: الجانب الثقافي 59
أولا: حركة التصوف 59
ثانيا: المساجد 60
ثالثا: المدارس العثمانية 60
المبحث الرابع: الجانب السياسي 63
أولا: الصراعات السياسية 63
ثانيا: الحروب السياسية 63
المبحث الخامس: الجانب الاقتصادي 64
خلاصة الفصل: ..... **Erreur ! Signet non défini.**
خاتـــــمة : 73
قائمة البيبليوغرافيا: 76